جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة ماستر

أدب عربي
دراسات ادبية
أدب حديث ومعاصر

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب:
مباركي نور الهدى / خليف لمياء

يوم:02/06/2024

تجليات الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنطيط للكاتب "السيد حمدي يحظيه"

لجنة المناقشة:

زوزو نصيرة	أ.د	جامعة محمد خيضر بسكرة	أستاذ
سويخ فاطنة	أ.م	جامعة محمد خيضر بسكرة	أستاذ مؤقت
إيمان بوعافية	أ.م	جامعة محمد خيضر بسكرة	أستاذ مؤقت

السنة الجامعية : 2025/2024

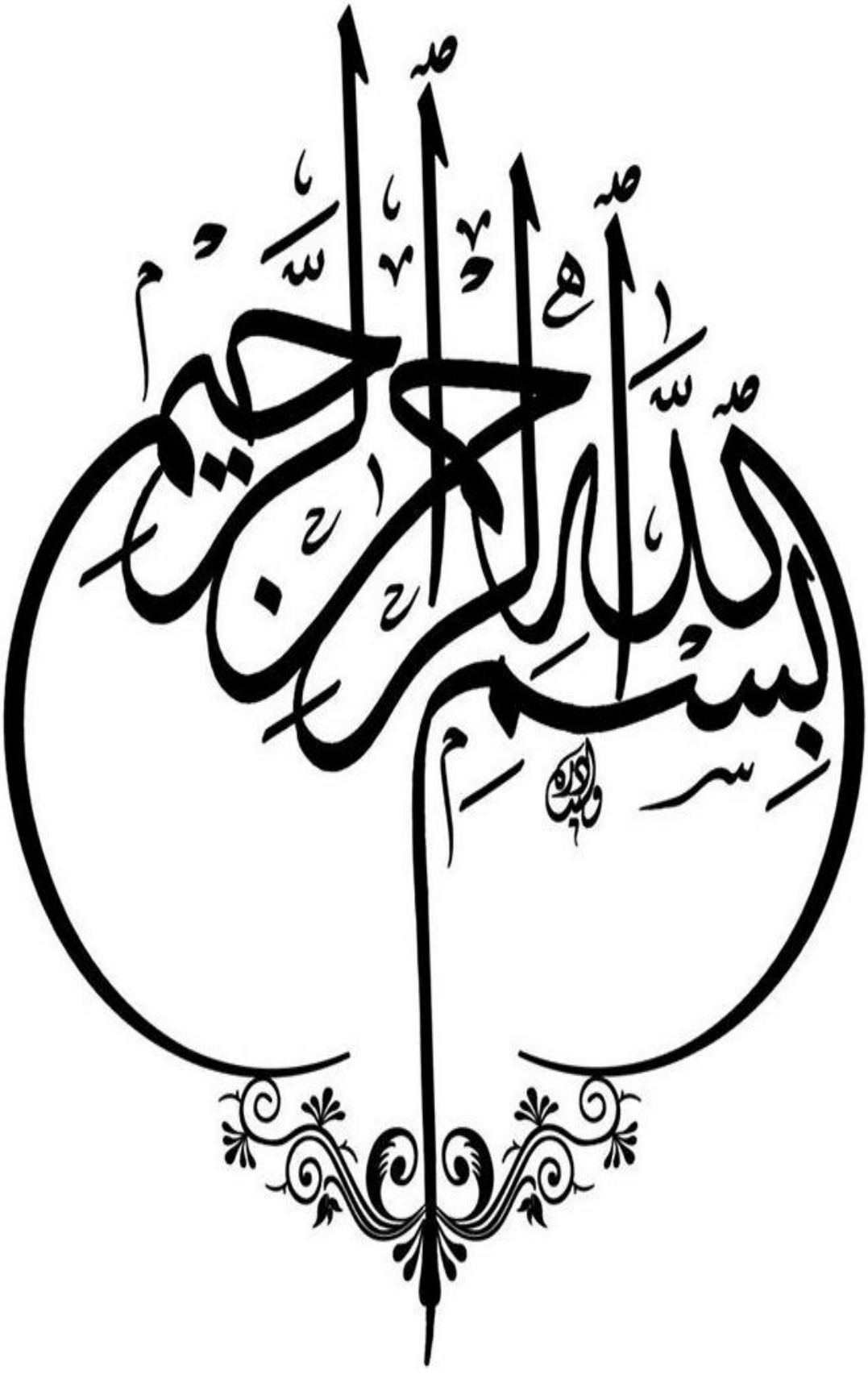
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان و تقدير

قال تعالى : (ولئن شكرتم لأزيدنكم) نحمد الله حمدا كثيرا طيبا لتوفيقه في عملنا هذا فبفضله تتم الأعمال والصالحات .

وعملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " من لا يشكر الناس لا يشكر الله" ، فكل الشكر والتقدير لكل من ساعدنا وساهم في إتمام هذا العمل

- الأستاذة المشرفة الدكتورة زوزو نصيرة .
- موظفي كلية الآداب واللغات .
- إلى كل من ساعدنا في هذا العمل ولو بنصيحة .

جزاهم الله عنا كل الخير

خطة البحث

- مقدمة

الفصل الأول : ماهية الفضاء الصحراوي

1. مفهوم الفضاء .

1 -1 : لغة .

1-2- : اصطلاحا.

2-أشكال الفضاء الروائي.

3-الفرق بين الفضاء و المكان .

4-مفهوم الصحراء .

4 -1 : لغة .

4 - 2 : اصطلاحا.

5-خصائص الصحراء.

6-توظيف الصحراء في الرواية .

الفصل الثاني : حضور الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنطيط للسيد حمدي يحظيه

1 - حضور الفضاء الصحراوي من خلال العتبات النصية .

1-1-عتبة العنوان .

1-2-عتبة الغلاف .

2- حضور الفضاء الصحراوي من خلال المتن .

2-1-حضور الأفضية الجغرافية الصحراوية .

2-2-أبعاد الفضاء الصحراوي .

2-3-علاقة الفضاء الصحراوي ببقية المكونات السردية .

2-3-1-علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصيات .

2-3-2-علاقة الفضاء الصحراوي بالزمن.

2-3-3-علاقة الفضاء الصحراوي بالوصف.

- الخاتمة

- قائمة المصادر والمراجع .

مقدمة:

تعد الرواية شكلا من أشكال التعبير الأدبي لسرد الوقائع ومعالجة القضايا ، وقد استطاعت الرواية الجديدة كسر القواعد والخروج عن كل ما هو مألوف .

و لطالما تناولت الرواية الكلاسيكية عالم المدينة ونقلت خصائصها ومميزاتها وتركت عالم البادية والصحراء مهمشا ، نظرا لقساوة الطبيعة وصعوبتها ، لذلك نجد أن موضوع فضاء الصحراء من المواضيع الجديدة في الدراسات الحديثة ، إذ سلطت الأنظار عليه وتفاقم الاهتمام به ، بحيث زال الإبهام والصورة القديمة التي لطالما رسمت عن الصحراء ، وكل هذا بسبب تزايد الرحلات الاستكشافية وانجذاب الأدباء نحو مميزات هذا الفضاء .

ومن بين الروائيين الذين وظفوا الفضاء الصحراوي في أعمالهم الكاتب "السيد حمدي يحظيه" في رواية حجر تمنطيط ، ومن هنا جاء موضوع بحثنا موسوما ب : " **تجليات الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنطيط** " للسيد " **حمدي يحظيه** " ، ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع حبنا للأدب الجزائري وكذا أهمية الفضاء الصحراوي بوصفه فضاءا بارزا وجديدا في الروايات العربية الحديثة .

ويطرح هذا موضوع الدراسة الإشكاليات الآتية :

كيف تجلى الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنطيط ؟

كيف تجسدت أبعاد الأفضية الصحراوية في الرواية ؟

وللإجابة عن هذه الاشكاليات اعتمدنا على خطة بحث تتألف من مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

جاء الفصل الأول معنونا ب : "**ماهية الفضاء الصحراوي** " حيث احتوى على مجموعة من العناصر هي : مفهوم الفضاء وأشكاله ، ثم مفهوم الصحراء وخصائصها ،و حضور تيمة الصحراء في الرواية .

أما بالنسبة للفصل الثاني فاء معنونا ب : " **حضور الفضاء الصحراوي في رواية تمنطيط** " **لسيد** "**حمدي يحظيه**" وعرضنا فيه حضور الفضاء الصحراوي من خلال العتبات النصية والمتن ، ثم أبعاد الأفضية الصحراوية في الرواية ، وأنهينا بحثنا بخاتمة ضمن أهم نتائج هذه الدراسة .

وكغيره من البحوث العلمية واجهتنا بعض من الصعاب من أهمها:

قلة الدراسات التي تناولت الفضاء الصحراوي في الرواية ، فكان اعتمادنا أكثر على المقالات المقدمة من قبل الباحثين والمنشورة في بعض المجلات .

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن أشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإتمام هذا البحث كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للأستاذة الفاضلة زوزو نصيرة على توجيهها لنا .

ونتمنى في الأخير أن نكون قد وفقنا في بحثنا.

الفصل الأول: ماهية الفضاء الصحراوي.

1- مفهوم الفضاء الصحراوي.

1-1- لغة .

1-2- اصطلاحا .

2- أشكال الفضاء .

3- الفرق بين الفضاء و المكان.

4- مفهوم الصحراء.

4-1- لغة .

4-2- اصطلاحا .

5- خصائص الصحراء .

6- توظيف الصحراء في الرواية .

1- مفهوم الفضاء :

يعد "الفضاء" من أكثر المفاهيم اشكالية وتعددا في مجالات المعرفة المختلفة ، حيث يختلف مفهومه وتوظيفه بين الحقول العلمية و الثقافية و الفنية ، لذلك حري بنا بيان دلالته أولا :

1 -1 : لغة :

ورد في لسان العرب ضمن مادة (فضا) ما يأتي : « فضا يفضو فضوا فاض وقد فضا المكان وأفضى اذا اتسع . وأفضى فلان أي وصل اليه . و أصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه. »[1]

وقد عرفه "الزبيدي" أيضا في تاج العروس بقوله : « الفضاء الساحة وما اتسع من الارض حيث يستشهد في ذلك بقول الراغب المكان الواسع .» [2]

أما في معجم الوسيط فكلمة الفضاء: « تعني ما اتسع من الارض و الخالي من الأرض ومن الدار ، وما اتسع من الارض أمامها ، ومن بين الكواكب النجوم من مسافات لا يعلمها إلا الله .» [3]

ونلاحظ من خلال المفاهيم اللغوية السابقة أن الفضاء هو الامتداد المكاني ، وهو الاتساع و الخلاء.

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج 15، دار صادر لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 4، 2005، ص157، 158.
[2] الزبيدي ، تاج العروس من واهر القاموس ، مج 20 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2007، ص117.
[3] ابراهيم مصطفى وآخرون ، معجم الوسيط، ج 1 ، المكتبة الاسلامية ، تركيا ،(د.ط) ، (د.ت) ، ص 694.

1 -2 - اصطلاحا :

إذا كانت الدلالة اللغوية للفضاء تعني الامتداد المكاني، فالفضاء في الاصطلاح يعني: « العالم الفسيح الذي تنظم فيه الكائنات والأشياء و الأفعال بقدر ما يتفاعل الانسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء . » [1]

أما جيرار جينيت (Gérard genette) فيرى : « الفضاء أشمل من المكان ، حيث يتعدى الفضاء الإشارة إلى مكان معين فالفضاء يخلق نظاما داخل النص ، مهما بدا في الغالب كأنه انعكاس صادق لخارج النص الذي يدعي تصويره بمعنى أن دراسة الفضاء الروائي ترتبط ارتباطا وثيقا بالآثار الشخصية .» [2]

أما حميد لحمداني فيعرفه بأنه: « مجموع الأمكنة التي تقوم عليه الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر ، أم تلك التي تدور بالضرورة و بطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية . » [3]

والفضاء يعبر عن مفهوم أوسع يشمل كل ما هو موجود بين الأشياء ، وكل ما هو موجود على سطح الارض .

---

[1] حسن نجمي ، شعرية الفضاء السردي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ط1 ، 2000، ص 25.

[2] جيرار جينيت وآخرون ، الفضاء الروائي ، تر / عبد الرحيم حزل ، افريقيا الشرق ، لبنان ، 2002، ص 20 .

[3] حميد الحمداني ، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991، ص 64.

2- أشكال الفضاء:

يستحوذ الفضاء على مكانة خاصة في الأدب، وبالأخص في الرواية حيث يمثل فضاء واسعا للإبداع والتعبير عن أفكار مختلفة ومتعددة، فالروائيون يستخدمون الفضاء كمسرح لأحداثهم وشخصياتهم، ويعكس في الرواية رؤية الكاتب للعالم والمجتمع بصفة عامة وقد يحمل رموزا مختلفة.

يرى الباحثون أن الفضاء يتدرج إلى عدة أنواع، ومن خلال مفهومه الواسع و متعدد الأوجه صنف إلى أشكال، وفيما يأتي عرض لأبرز هذه التصنيفات.

2 – 1 –الفضاء الجغرافي:

يعد الفضاء الجغرافي أحد أهم العناصر التي تشكل العمل الأدبي، فهو ليس مجرد خلفية للأحداث، بل عنصر حيوي يتفاعل مع الشخصيات والأحداث ويثري المعنى، حيث يقول عبد المالك مرتاض في هذا الصدد: « الفضاء هو المجال الفسيح الذى يتبارى في مضطر بها كتاب الرواية فيتعاملون معه. بناء على ما يودون من هذا التعامل». [1]

وعليه يشير عبد المالك مرتاض إلى أن الفضاء مجال فسيح وواسع يمنح للروائيين حرية الحركة والتعبير ، ويستخدم لفظة يتبارى لإشارة الى كتاب الرواية الذين

[1] عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ابحث في تقنيات السرد ، المجلس الوطني الثقافة والفنون والادب، الكويت ، (د.ط) ،1998، ص123.

يتنافسون في استخدام الفضاء بطرق مختلفة ، وعلى حسب ما يريدون وعلى رؤيتهم الخاصة .

و الفضاء هنا « هو معادل لمفهوم المكان في الرواية و لا يقصد به بالطبع المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي كتبت بها الرواية ولكن ذلك المكان الذي تصوره قصتها المتخيلة »[1]

وهنا يتضح أن الفضاء هو المكان في الرواية والذي يحدد جغرافيا ، فهو في الرواية ليس المكان الذي تحدد اللغة وتحتويه الأحرف التي تم استخدامها في الرواية هو إذا مكان مثل مقهى أو البيت ... وغير ذلك

يقول ياسين النصير أن : « للمكان عندي مفهوم واضح يتلخص بأنه الكيان الاجتماعي الذى يحتوي خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه ، ولذلك فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي آخر يحمل جزءا من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه » . [2]

ومن هذا المنطلق فالمكان يعكس قيم المجتمع والسلوكيات والأخلاق الاجتماعية ، وهو هنا يظهر أنه توجد علاقة بين المكان والمجتمع، فالمكان وطبيعته تأثر على الإنسان .

وهو أيضا مقابل لمفهوم المكان وهذه الأخيرة لا ينتج إلا عن طريق يسير الأحداث وتجارب الابطال وأيضا يتولد عن طريق سرد الأحداث أي الحكي .

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي ،(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،المغرب ،2000 ،ص 54.

[2] ياسين النصير الرواية والمكان، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط) ، (د.ت) ، ص 17.

2-2- الفضاء النصي:

ويقصد به « الحيز الذي تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف . ووضع المطالع ، وتنظيم الفصول، وتعبيرات الكتابة المطبعية ، وتشكيل العناوين ، وغيرها» .[1]

وبهذا نستنتج أن مصطلح الفضاء النصي يشير إلى المساحة التى يشغلها النص المكتوب حرفي على الصفحات ليتضمن جوانب أخرى كمصمم الغلاف، ورفع المطالع ، وتظليم الفصول، وتغيرات الكتابة المطبعية، وغيرها.. الخ.

ويقول أيضا ميشيل بوتور : « إن القصة والدراسة وكل ما يمكنه أن يشكل مادة لخطاب يسمع من بدايته إلى نهايته يكتب في الغرب بحسب محور أفقي من اليسار إلى اليمين وفى المقابل يوجد حضارات أخرى قد ثبتت أشكالا أخرى للكتابة . » [2]

ومن هنا فميشيل يبين أن كل ما يكون مادة الخطاب أي النص المسرود يسمع من بدايته إلى نهايته ، وان الكتابة العربية تنتهج محور من اليسار الى اليمين وتوجد حضارات تنتهج أشكال أخرى للكتابة .

ويقول أيضا أنه توجد مظاهر للتشكيل الخارجي و المتمثلة في : « الكتابة الأفقية، الكتابة العمودية ، الخطوط المنحرفة ، الهوامش الرسوم والاشكال ، الصفحة ضمن الصفحة، ألواح الكتابة، الفهرس » [1].

---

[1] حميد احميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص 64.

[2] ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة تر،/ فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات، لبنان، ط3 ، 1986 ص166.

ويتطرق حميد لحميداني في الجهة المقابلة يرصد مظاهر أخرى للتشكيل النصي لم يتطرق إليها بوتور ومنها: « التأصيل ، البياض ، انواع الكتابة ، التشكيل »[2]

إذن تكتشف هذه المظاهر عن طريق القارئ . أنه هو من يميز الخطاب الروائي، والنصوص الأدبية .

2-3- الفضاء الدلالي:

يشير إلى الصورة إلى تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالدلالة المجازية بشكل عام .

فإن هذا الفضاء يرتبط بالمعنى المجازي الذي تتعدى له اللغة وهذا ما يبين من خلال قول حميد لحمداني.

ويقول أيضا : « يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي، وعن الآخر بأنه مجازي، هناك أدب فضاء دلالي (Espace sémantique) يتأسس بين المدلول المجازي، والمدلول الحقيقي » [3].

ومن هنا نستنتج أن الفضاء الدلالي يتعدى المعنى الحقيقي ليشمل المعنى المجازي وهذا يتم عن طريق الصورة التي تنشأ في ذهن القارئ خلال استخدامه لغة سواء كانت مكتوبة أو مسموعة.

---

[1] ميشال بوتور ، بحوث في رواية الجديدة ، ص166 .

[2] حميد لحميداني ،بنية النص السردي (من منظور النقدي)،ص 62 .

[3] المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

وحسب سعيد بنكراد الدلالة : « ليست معطى جاهز ، يوجد خارج العلامات و خارج قدرتها في التعريف و التمثيل فالمعنى لا يوجد في الشيء ، وليس محايدا له ، إنه يتسرب عبر ادوات التمثيل »[1]

مفهوم الدلالة هو العلامة ويتضمن خلال القول أنها تتجاور التعريف والتمثيل وأنها تتشكل بشكل غير مباشر في ذهن المتلقي .

2-4- الفضاء كمنظور أو كرؤية :

الفضاء موضوع يستخدم لرصد وصف المشاعر والافكار، ويحمل رموزا عديدة ومن هذه الرموز نذكر رمز الجمال أو القسوة ، أو رمزا للبحث عن الهوية أو للتفكير والتأمل ، كل حسب السياق المناسب له.

فالفضاء كمنظور أو كرؤية هو الطريقة التي يستطيع بواسطتها الراوي أو الكاتب السيطرة على عمله السردي ، وعلى أبطاله الذين يحركهم .[2]

يشير هذا المصطلح إلى كيفية استخدام الكاتب للفضاء في بناء عالمه الروائي و يمكن أن يستخدمه لإبداع أو استنباط شعور بالاتساع أو الضيق أو الوحدة أو إظهار علاقات أبطاله .

[1] سعيد بنكراد ، السيميائيات والتأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005، ص 174.

[2] محمد غرام ، فضاء النص الروائي ، مقاربة تكوينية في أدب نبيل سليمان ،دار الحوار ، سوريا ،ط1 ،1996، ص113.

فالفضاء عنصر مهم يستخدم لخلق مجموعة متنوعة من التأثيرات ، وكما ورد عن حميداني أنه : « الطريقة التي يستطيع الراوي بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه الخشبة في المسرح »[1]

و من خلال قول لحميداني يتضح أن الفضاء كأداة للراوي فمن خلاله يستطيع أن يخلق شعورا بالسيطرة على عالمه، وأن يخلق شعور درامي و مثير وهذا في ذكره للخشبة المسرح.

3-الفرق بين الفضاء و المكان:

يطرح مصطلح الفضاء إشكالية كبيرة ، كونه يتداخل مع مصطلح آخر هو المكان و المكان عند ابن منظور: « الموضع، والجمع أمكنة وأماكن هو جمع الجمع (...) ، والعرب تقول كن مكانك ، وقم مكانك ، واقعد مقعدك دل هذا على أنه مصدر مكان أو موضع منه » . [2]

ويقارن مطاع الصفدي بين الفضاء والمكان بقوله : « إن المكان هو امتداد الأرض فهو كل ما يوطأ و يستقر عليه ، إنه الثبات ، وبالتالي يصبح المكان حاملا للأشياء وهو يمكنه أن يضمها ، في حين أن الفضاء يتسم بالتجريد ، فإن الفضاء في اللغة العربية مرتبط بالمكان في انغلاقيه أي ذلك المكان الفيزيقي الذي تموضع فيه

[1] حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي) ، ص 62.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 414.

الأشياء المدركة مباشرة عن طريق الحواس قبل أن يستقر مفهومه في الخلاء أو الخلو من المكان ، فالمكان أصله الأرض ، وعندما يتجرد يصبح الفضاء » . [1]

أما السعيد يقطين فيقول : « إن الفضاء أعم من المكان لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي » .[2]

وبالنسبة لعبد القادر بن سالم فيرى : « أن الفضاء أكبر من المكان ، لأن الأول يحتوي على الثاني ويمتلئ به » . [3]

[1] حورية الظل ،الفضاء في الرواية العربية الجديدة ،"مخلوقات الأشواق الطائرة " لإدوارد الخراط نموذجا ، دار نينوي ، دمشق ،(د.ط) ، 1432 ، 2011م ، ص 25.

[2] سعيد اليقطين ، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1997، ص 237.

[3] عبد القادر بن سالم ، بنية الحكائية في النص الروائي المغاربي الجديد ، المنشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2013، ص 115.

ومن خلال ما تطرقنا اليه ، يمكن أن نخرج بأهم الفوارق بين الفضاء والمكان في الجدول الآتي :

خصائص الفضاء	خصائص المكان
– الفضاء يشير إلى مفهوم أوسع ويتجاوز الموقع الجغرافي. – الفضاء يحمل دلالات رمزية . – الفضاء أشمل من المكان . – الفضاء هو الاطار الذي يحتوي على الأماكن .	– المكان يشير الى موقع محدد أو بيئة محددة . – المكان عادة ما يتم وصفه بتفاصيل حسية مثل الألوان، الأصوات – المكان له خصائص مادية و ملموسة. – المكان هو جزء من الفضاء .

ومن خلال هذا الجدول يمكننا القول أن الفضاء يحتوي على المكان .

4- مفهوم الصحراء :

4-1- لغة :

جاء في معجم تاج العروس ما يأتي: « الصحراء : اسم سبع محال بالكوفة ومحب خارج القاهرة

والصحراء: الأرض مستوية في لين وغلظ دون القف، أو هي الفضاء الواسع .

زاد بن سيده : لا نبات فيه .

وقال ابن شميل : الصحراء من الأرض : مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس بها شجر ولا إكام ولا جبال ملساء ، يقال صحراء بيئة الصحر والصحرة . » .[1]

و الصحراء : « الأرض المستوية في لين وغلظ دون القف ، أو الفضاء الواسع لا نبات فيه ، إنما لم يصرف للزوم حرف التأنيث ، جمع : الصحارى و صحاري وصحراوات» .[2]

ومن خلال هذه المفاهيم نستنتج أن الصحراء ، هي الأرض المستوية والفضاء الواسع الذي لا نبات فيه .

وورد أيضا في لسان العرب : « صحر ، صحراء من الارض المستوية في لين وغلظ دون القف ، وقيل هي الفضاء الواسع .

[1] محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس ، ج12، مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1973، ص 286.

[2] الفيروز آبادي ، قاموس المحيط ، تج / أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة (د.ط) ، 1429، 2008، ص915.

وأصحر المكان أي اتسع ، و أصحر الرجل : نزل الصحراء و أصحر القوم : برزوا في الصحراء ، وقيل : أصحر الرجل إذا اعور . »[1]

وهنا يجدر بنا التنويه إلى أن الصحراء من خلال التعريفات السابقة ككل تدل على الفضاء الواسع ، والأرض القاحلة بسبب قلة الأمطار وشدة الحرارة

4-2-اصطلاحا :

تعد الصحراء من بين أكثر المناطق غموضا وجمالا في العالم ، فهي تمتلئ بأسرار تاريخية و جغرافية يصعب فهمها إلا بعد الاستكشاف الدقيق والتأمل المتأني في ثناياها قصصا قديمة وحكايات وعبر .

و المفهوم الاصطلاحي للصحراء : « يقترن بوضع مناخ معين يتميز بقلة أو ندرة الرطوبة أو المياه مع ارتفاع الحرارات و فروقها اليومية والفصلية وتطرق في مقادير التبخر ، فتطرف في العناصر المناخية والمائية ، وما يرافق ذلك مع انعدام شبه تام أيضا للحياة » . [2]

ومن خلال هذا القول نقول بأن الصحراء ترتبط بمناخ معين يتميز بندرة الرطوبة أو المياه و ارتفاع الحرارة ، و مع كل هذا فإن الحياة تصبح صعبة للغاية سواء للنباتات أو الحيوانات أو البشر .

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، ص 2404

[2] صلاح صالح ،الرواية العربية و الصحراء ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1996 ، ص 16.

و على الرغم من كل هذا يرى صالح فخري : « أن عالم الصحراء بما فيه من ندرة وامتداد وقسوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود ، عالم يتحدى الممكن والعقل والعدم ويتصل بالأبدية . » [1]

و عليه فإن هنا يقر بصعوبة العيش في الصحراء، إلا أنه يعدها المكان الجوهري الذي يطل على الكون والوجود، فالذي يعيش في الصحراء يتحدى كل الصعوبات بالكفاح، و يجعل من العدم عدة أمور تربطه بالأبدية .

كما ورد لفظ الصحر في معجم مقاييس اللغة على النحو الآتي : « صحر ، الصاد والحاء والراء أصلان : أحدهما التبارز من الأرض والآخر لون من الألوان

فالأول الصحراء : الفضاء من الأرض ويقال أصحر القوم إذا برزوا ومن الباب قولهم لقبته صحرة بحرة . » [2]

وهنا يجدر بنا تنويه على أن الصحراء من خلال التعريفات السابقة ككل تدل على الفضاء الواسع ، والأرض القاحلة بسبب قلة الأمطار وشدة الحرارة .

[1] صلاح فخري ، في الرواية العربية الجديدة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009، ص 147.

[2] أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج 3 ، تج/ عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع ، 1979، ص 333 .

مفهوم الفضاء الصحراوي :

بناءا على ما تم ذكره من تعاريف لغوية لكل من "الفضاء" و "الصحراء" يتبين أن :

« الفضاء الصحراوي يتميز بالانفتاح والامتداد فهو مكان اللامحدود ولا اللانهائي في أبعاد الصحراء تكمن قيم الطبيعة وسحرها فهي فضاء بكثبان وفضاء بواحات ، وفضاء بسماء وأفق منطبقين ، فضاء بألوان قوس قزح ، فضاء جاف ومطر وجمال ،عيون ماء ، فضاء متصل اتصالا بالسماء .»[1]

فكلمة "الصحراء" تدل على القسوة والحر والتحدي والصمود ، بل تجاوزت ذلك لترمز إلى عمق تاريخي يحتضن آثارا وقصصا متعددة ، ورمالها ليست مجرد كتل على سطح الأرض بل هي شاهد على ماضي عريق .

ولفظة الفضاء تدل على الامتداد اللامتناهي ، والاتساع الشاسع والفراغ .

وعند دمج هذين الكلمتين ، يتشكل مفهوم الفضاء الصحراوي وهو البيئة الصحراوية الواسعة التي تتسم بالحر والقسوة المناخية وفي الوقت نفسه يحمل الفضاء دلالات ثقافية ورمزية ، فهو تناغم بين القسوة والجمال والعزلة والحرية ، إلا أنه ليست مكان للحديث فقط ، إنما مكان يصقل الروح ويشكل الهوية البدوية بناء على التعايش والصمود في وجه هذه البيئة القاسية .

5 – خصائص الصحراء:

[1] جيهان علي الامرداش ، الرواية المصرية من القرن الحادي والعشرين ، مؤسسة شمس للنشر والإعلام ،2024 ، ص 244.

الصحراء هي منطقة جغرافية تميز بظروف قاسية، ومن بين خصائص الصحراء ما يأتي:

5-1 السكان:

السكان الأصليون للصحراء هم " البدو " ، ويعرفهم ماكس اوبنهايم Max oubnyahem بأنهم : « قبائل رُحل أقحاح ومربو الجمال ينتقلون من موقع تتوافر فيه المراعي والمياه إلى آخر» .[1]

أي أن الميزة والخاصية المعروفة لسكان الصحراء أنهم يحبون الترحال ، وذلك للبحث عن أماكن فيها المياه.

كما يعتمد أسلوب الحياة عند البدو على البساطة ف « ملكيته الفردية لا تكاد تتعدى بيت الشعر الذي يسكنه و الرمل أو المظاهر التي تحمل عليها بيته و أفراده عائلته إذا شاء التحول من منزل إلى آخر و العدد الكافي من النوق التي يتغذى هو و عائلته على ما تدره من حليب » .[2]

5- 2 الحيوان :

تتميز حيوانات الصحراء بالقدرة على التكيف مع الظروف القاسية في المناطق الصحراوية، ومن أبرز الحيوانات التي تعيش في الصحراء.

5-2-1 - الإبل :

[1] ما كس او بنهايم، البدو، ماجد جبر، دار الوراق للنشر، المغرب ، ط1 ، 2012 ، ص 75 .

[2] سعد الله العبد الله الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عند العصور ، قراءة انتربولوجية، الشبكة العربية ، بيروت، ط1 ، 2010، ص 404 .

تعد الإبل من أكثر الحيوانان انتشارا و شهرة وتعرف بسفينة الصحراء ، ف« قد تأقلمت الابل على العيش والبقاء في بيئة الصحراء الشحيحة و مناخها القاسي » . [1]

و هذا بسبب الصفات التي تتميز بها « إن جفن البعير له أهداب طويلة تتتابك لتحمي العين من وهج الشمس و من الرمل أثناء هبوب العواصف الرملية دون أن تحد من الرؤية ويعين البعير مجريان دمعيان واسعان لا تشدهما حبيبات الرمل مما يمنع جفاف العين ... وإن إفراز الدمع يتضاعف عند هبوب العواصف لترطيب العين وتنظيفها من الرمل»[2]

ومن صفات الإبل الصبر « وهذا لقدرتها على حمل الاثقال و قطع المسافات الطويلة والصبر على الطريق » . [3]

5-2-2 - الغزال :

وهو الظبي ، البيض منه المائل لزرقة يسمى الريم و الرمادي القريب من السواد يسمى العفر .

5-2-3- الضبع : هو الأعرج.

5-2-4- الأرنب : ويقال له الخرز وهي الخرق.

و من بين زواحف الصحراء .

5-2-5الأفعى : هو الذكر أفعوان سمه قائل.

[1] سعد الله العبد الله الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عند العصور ، ص 384.

[2] المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .

[3] المرجع نفسه ، ص 385.

5-2-6-فأر الصحراء: و يقال له الجربوع و.... وذو الرميم. » [1]

5-3-النبات :

بسبب ندرة المطر في المناطق الصحراوية ، فقد أثر ذلك على تربتها مما جعلها تعجز على إنتاج النباتات والأشجار و تقبل الزراعة باستثناء النمو المبعثر لها لبعض النباتات الخفيفة، أو نمو بعض النخيل والمزروعات في المناطق المنخفضة والواحات لتوفر المياه الجوفية » .[2]

ومن أكثر النباتات انتشارا في البيئة الصحراوية هي :

النخلة : و تعتبر شجرة النخيل التمر من أقدم أشجار الفاكهة في العالم ولقد كرم الله عز وجل النخلة تكريما عظيما فقه ذكرت في 38 موضع في القران الكريم ، وارتبطت الشجرة بالعرب و المسلمين وتاريخهم العريق وإن من أهم مزايا شجرة النخيل تأقلمها مع الظروف الصحراوية القاحلة وهي من أكثر الأشجار مقاومة للجفاف ودرجات الحرارة العالية » .[3]

6- توظيف الصحراء في الرواية :

[1] ابراهيم محمد الساسي العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء سوف ، الجزائر ، ط1، 2007، ص 80.

[2] ينظر ، شفق العوضي الوكيل ، محمد عبد الله سراج ،المناخ والعمارة المناطق الحارة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ،1999، ص 26 .

[3] ينظر ، الاء احمد واخرون ، دليل انتاج نخيل التمر ، المركز الوطني للبحوث الزراعية ونقل التكنولوجيا ، مشروع تنمية الصادرات البستانية ونقل التكنولوجيا ، الاردن ،(د.ط)،2007 ، ص3

تعد الرواية من بين الاجناس الادبية التي لاقت اهتمام وانشغال الباحثين ، وتعرف الرواية بأنها : « جنس أدبي ذات بنية شديدة التعقيد متراكبة الشكل ، تتلاحم فيما بينها وتتظافر لشكل لدى المطاف شكلا أدبيا جميلا » . [1]

وقد تسللت تيمة الصحراء إلى جنس الرواية مؤخرا ، وذلك لأنها أصبحت مصدر إلهام وإبداع الروائيين و الصحراء في الرواية قد تجاوزت كونها مجرد فضاء أو مكان جغرافي ، بل أصبحت فضاء رمزيا وثقافيا وعميقا يعبر عن دلالات مختلفة .

وقد لجأ العديد من الكتاب إلى توظيف الصحراء . لإبراز مميزاتها وخصائصها : « فلطالما كانت الصحراء الفضاء الذي يعبر عن كينونة الانسان العربي ، فلقد كان تناول الصحراء في الإبداع الأدبي هو تأكيد على الخصوصية أو الهوية الثقافية بالنسبة إلى الذات العربية » . [2]

ويرى" صلاح صالح" أن المكان الصحراوي كان : « نوعا من الضالة المنشودة عثرت فيه الرواية العربية على بعض ما تصبو إليه من امتلاك خصوصية الهوية ، إذ كان العثور على أمكنة عربية تسعى إلى قطع ونتائجها المتبقية مع الرواية العربية التي لم احتذاؤها في بدايات التأليف الروائي العربي شكلا ومضمونا. » [3] فالصحراء فضاء اصطبغ على الرواية العربية لإثبات الهوية .

وفي قول أن الصحراء ليست مجرد فضاء أو مكان جغرافي في الرواية نجد

[1] عبد الملك مرتاض ، نظرية الرواية ، ص25

[2] فتيحة بركان ، الصحراء وثقافة شعوب الهامش في رواية عيون الطوارق لا فالبحث ، مجلة التواصل ، عنابة ، الجزائر ، ع25، مارس 2010، ص 153.

[3] صلاح صالح ، الرواية العربية ، ص 33

أن: « الصحراء ليست فضاء ومكان ايكولوجيا خاليا من دلالات ومفردات المرتبط بالثقافة والتاريخ وعلم الأجناس ، المرتبط بحياة الجماعات البشرية التي تعيش فيها بل هي فضاء ملئ بالرموز التي تولد رؤى فكرية خاصة بها ، مما يعطي نصوص روائية متخمة بالدلالات. » .[1]

وأيضا أقر عبد الرحمان منيف أن : « عالم الصحراء عموما ليس فلكورا أو مجرد مظاهر خارجية ، إنما هي الأعماق والذاكرة والتراث. » [2]

وهنا لخص منيف مدى تجلي الصحراء في الرواية ، أي أنها ليست ديكورا خارجيا لرواية ، بل هي عالم داخلي ملئ بالدلالات .

ومن الدوافع التي حفزت الروائيين لتوجه الرواية إلى الصحراء، هي أن الصحراء العربية تضم كمية هائلة من التاريخ العربي، على كافة المستويات (السياسي، الديني، الثقافي)، وربما كانت اللغة العربية أهم ما أنتجته الصحراء .[3]

أما في الجانب التاريخي ، فلطالما كانت الصحراء مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية الكبرى ، التي تشكل المحور الرئيسي لتاريخ الإنسان ووجوده على مختلف الحقب التاريخية [4].

---

[1] تحريشي محمد ، النص والنصية في الرواية الصحراوية ، رواية وراء السراب ...قليلا لإبراهيم الدرغوثي أنموذجا ، ص 129

[2] صالح ولعة ، المكان ودلالته في رواية مدح الملح لعبد الرحمان منيف ، عالم الكتب الحديث ، إربد ،الأردن ، د.ط ،2010م ،ص 137.

[3] صلاح صالح ، الرواية العربية والصحراء ، ص 37

[4] صلاح صالح ، الرواية العربية والصحراء ، ص34.

إضافة الى مكانة الصحراء في الفن والأدب « قد ظلت الصحراء طيلة هذه القرون الماضية تثير خيال الشعراء والأدباء والفنانين تستهوي أفئدة كثير من الرحالة والمغامرين والباحثين ، كما كانت مسرحا للبطولة والفروسية التي سجلتها السير الشعبية والملاحم . » [1].

زيادة عن كل هذا: « فالوجد السحري والأسطوري الذي تتمتع به الصحراء ».[2]

وهذه من أهم الاسباب التي أدت إلى توجه الرواية العربية إلى الصحراء.

وقد اتخذ البعض من الروائيين العرب أمثال "عبد الرحمان منيف " و "ابراهيم الكوني " و "ابراهيم الدرغوتي" وغيرهم من الروائيين في معظم كتاباتهم الروائية الصحراء موضوعا لها ، مما دفع القراء إلى تغيير وجهة نظرهم في الرواية ، و أيضا اكتساب دلالات جديدة ومتنوعة للصحراء إذ : « توجهت الرواية العربية المعاصرة في عدد من النماذج المتقدمة فنيا وفكريا إلى الصحراء وكان طليعة نتائج هذا التوجه ان المكان الروائي الصحراوي خصوصا تجاوز سكونتيه السالبة المعهودة في الأنماط الروائية التقليدية ، وانظم إلى العناصر الحركية الفاعلة في تكوين بنية الرواية ومنح عالمها الداخلي من بدا التنامي والحيوية والجماليات الإضافية الخاصة . [3]

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

[2] المرجع نفسه ،ص 39.

[3] صلاح صالح ، الرواية العربية والصحراء ، ص 7.

الفصل الثاني : حضور الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنطيط " للسيد حمدي يحظيه "

1- حضور الفضاء الصحراوي من خلال العتبات النصية.

1-1- عتبة العنوان.

1-2- عتبة الغلاف الأمامي.

2- حضور الفضاء الصحراوي من خلال المتن.

2-1- حضور الأفضية الجغرافية الصحراوية.

2-2- أبعاد الفضاء الصحراوي.

2-3- علاقة الفضاء الصحراوي ببقية المكونات السردية .

2-3-1-علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصيات .

2-3-2-علاقة الفضاء الصحراوي بالزمن.

2-3-3-علاقة الفضاء الصحراوي بالوصف.

1- ظهور الصحراء من خلال العتبات النصية :

1-1: عتبة العنوان:

للعنوان أهمية كبيرة في أي جدل أدبي ، لأنه يعبر عن مضمون النص والمحتوى الذي يريد الروائي أو الكاتب ايصاله ، فهو لا يوضع عبثا وهذا ما أكد عليه فيصل الأحمر في معجم السيمائيات يقول : إن العناوين لا توضع اعتباطا ، فكل شيء بمعنى « وكل كلمة لها دلالاتها ، إن العنوان يختصر الكل ويعطي لمحة الدالة على النص المغلق ويصبح نصا مفتوحا على كافة التأويلات ». [1]

فالعمل الروائي في العنوان ذا قيمة عظيمة عند الكاتب لأنه يوجز جوهر الفكرة ، ويغوي القارئ بلفت انتباهه فهو أول ما يراه القارئ ويأخذ فكرة معينة عن محتوى الرواية ، وإن كان العنوان جيدا وجذابا فهو يثير الفضول ويحث على الاطلاع ومعرفة المحتوى لتوفره على عنصر التشويق وتحديده لموضوع معين فنجد بعض الأعمال الأدبية تعالج قضايا مختصة قد تكون في تاريخ أو حالات اجتماعية أو الظواهر الأدبية أو العامية ، وهذا ما يسهل على القارئ عملية الانتقاء ، فتحديد الموضوع أمر مهم يتمركز عليه العنوان ومن هذا المنطلق يتوجه لدراسة العنوان (حجر تمنطيط) بكشف ملامحه ودلالاته وارتباطه بتيمة الصحراء.

كلمة الحجر تشير الى الصخور المتينة و الصلبة التي توجد في طبيعة و الصخر في مفهومه العام يرمز لصلابة وقد تنسب كلمة الحجر لصلابة العقلية أو العاطفة وهذا متداول في المثل الشعبي " قلبي على ولدي انفطر وقلب ولدي عليا حجر " ومن خلال هذا

[1] فيصل الأحمر ، معجم السيمائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 226 .

المثل يتبين حنان الأم أو الوالدين لأبناء على عكس الابن الذي قلبه كالحجر وهذا يدل على قسوته وعدم التأثر ومدى صلابته.

الصلابة والقسوة تعكس طبيعة البيئة الصحراوية القاسية و الصعبة ، والتي تعود بطريقة غير مباشرة على حياة الفرد الصحراوي الذي يتمتع بعدة صفات استمدها من بيئته ، والمتمثلة في الصلابة والقوة النفسية والجسدية لتحمل الحر والمسافات الواسعة والطويلة

كما يمتاز هذا الفرد بالصبر والمثابرة وذلك يتضح في تغلبه على تحديات الصحراء ومواجهة الصعوبات بكل جدارة اعتمادا على الأنا القوية ، وعلى الرغم من كل هذه العقبات والعوائق التي تقف في طريق البدوي إلا أنه ينفرد بمجموعة من الخصال الحميدة والسمات المميزة نذكر على سبيل المثال الكرم وحسن الضيافة والاتحاد الجماعي ونقصد به الترابط الموجود بين أفراد المجتمع الصحراوي وهذا ما يجعلهم يمتلكون رصيدا من عادات والتقاليد التي تلعب دورا مهما في الحفاظ على الهوية الثقافية في المجتمعات الصحراوية ، وهذا ما تؤكده بعض مقاطع الرواية الآتية : « حين وصلت السيارة إلى مدخل المدينة الغربي ، كان الجميع في مكان الاستقبال كانت الفرق الفلكلورية نسخت طبولها» .[1]

ويضيف أيضا : « أولا هذه المدينة التاريخية ترحب بكم أيما ترحيب ، فهي منذ فجر التاريخ ترحب بضيوفها ، وتفتح لهم ابواب منازل سكانها ، وبما أنكم عرب ومسلمون ومن بلدان خليجية شقيقة ، وأعضاء في هيئة عالمية للآثار فترحب بكم ترحيبا مضاعفا . »[2]

[1] حمدي يحظيه ،حجر تمنطيط ،دار النشر الوطن اليوم ،الجزائر، 2023 ، ص 132

[2] الرواية ، ص 133.

« ارتفع التصفيق والزغاريد ، وأطلق البارود إلى أعلى ، وضرب الرجال الدفوف بقوة . »[1]

هذه العبارات صورة معبرة عن مدى كرم الفرد الصحراوي وجوده .

إذا عدنا إلى عنوان الرواية عثرنا على كلمة تمنطيط وهي كلمة مقسمة إلى جزئيين :

(تما) وتعني العين ، (نطيط) وتعني الحاجب ، وهنا يصبح الاسم هو حاجب العين ويقولون : « كانت عين الماء تتدفق ، تكاد تغرق الواحات فقاموا ببناء القصور حولها فحجبوها، وأصبحت الواحة تسمى "حاجب العين "» .[2]

وتعود : « تسمية القصر بتمنطيط حسب ما ورد في مخطوط البسيط في أخبار تمنطيط لمؤلفه محمد بن بابا حيدا إلى الأصل العجمي وهي مقسمة إلى جزئين (أتما) وتعني النهاية ، (تط) وتعني العين كما أن هناك إشارة أخرى بمعنى تمنطيط فهي تركيب لكلمتين "أمان" وتيط وتعني العين ويعد قصر تمنطيط من أبرز الحواضر العتيقة والعريقة التي عرفتها منطقة الصحراء وشمال إفريقيا منذ القدم . » [3].

تمنطيط تشير إلى مكان معين ، وهو أحد المناطق الصحراوية في الجزائر وبالضبط في أدرار ، وهذا ما يعطي المنطقة بعدا جغرافيا وثقافيا ، حيث أنها ترمز إلى قيمة المكان والاعتزاز به لاحتوائها على آثار قديمة ، هذا الحجر بمثابة ذاكرة جماعية لسكان المنطقة .

---

[1] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[2] المصدر نفسه ، ص13.

[3] بوعلام صماري وسامية عليوات ، المتخيل السردي ودوره في الكشف عن جماليات الصحراء المرجعي ، مجلة القارئ لدراسات الأدبية والنقدية ، مج 7، ع1، مارس 2024، ص93.

1-2: عتبة الغلاف الأمامي

يغلب على غلاف الرواية الألوان الترابية والطاغي تدرجات اللون الذي يميل للون الرمل ، مما يوحي بالصحراء والبيئة القاسية، و الصحراء ترمز إلى الرحلة والتحدي ، إلا أن الألوان المستخدمة تخلق شعور بالهدوء والغموض والاتساع اللامتناهي والعزلة وتحمل في طياتها شيئًا من الكآبة.

في الجزء العلوي، نرى تدرجات لونية داكنة قد تكون السماء ليلاً أو منظرا للغروب، إذا نرى جوا غامضا لا يمكن تفسيره ، وهذا ما يتناغم مع طبيعة الصحراء الشاسعة ، هدوء قد يتحول إلى عزلة ، الصورة المثبتة على الغلاف هي منظر طبيعي صحراوي يمثل منطقة تمنطيط المذكورة في العنوان ، وأي إن هذه الصورة تعكس طبيعة المكان الذي تدور فيه أحداث هذه الرواية ، إلا أن المنظر يجعل المشاهد يشعر وكأنه ينظر إلى الصحراء الشاسعة والجمال الهادئ تلك الكثبان الرملية كأمواج بحر لحظة سكون مع خطوط انسيابية ناعمة تريح البصر.

و يظهر مبنى صغيراً في الافق ربا يكون ضريحًا أو معلماً تاريخياً وثقافياً ، وهو يشير إلى أهمية المكان في الرواية ، وقد يكون مسجدا في دلالة على البعد الديني لمنطقة الصحراء .

توجد مجموعة من الشخصيات تظهر كظلال، وهذا يحجب ملامحها فوجودهم في هذه المنطقة وبحجم صغير يوحي إلى ضعفهم أمام قوة الطبيعة الصحراوية، ويرمز أيضا للغموض و الضياع وسط مساحة لا متناهية.

من خلال ما تم ذكر نستنتج أن للكليمتين علاقة وطيدة بالصحراء ، من الناحية المكانية تكمن في أن تمنطيط اسم مدينة تاريخية تقع في قلب صحراء الجزائر بالأخص في ولاية أدرار، ولفظة حجر تشير إلى مادة صلبة وبالتحديد يشير إلى صخور موجودة في هذه الواحة.

ومن الناحية الدلالية فإن الحجر يرمز للقوة والثبات والصلابة ، و تمنطيط ترمز إلى الغموض الصحراوي والأصالة والتراث والتاريخ الطويل ، وأيضا الحجر يرمز للطبيعة الثابتة ، بينما تمنطيط تمثل القوة الاجتماعية والسياسية والواقع الذي يؤثر عليه ، ويمكننا أن نختصرها بقول : أن العلاقة هنا هي تأثر وتأثير ، فالحجر هو هدف الذي يسعى الموساد الاسرائيلي إلى سرقته ، و تمنطيط من القوة الحامية له ورد فعل للاحتفاظ به في مكانه الأصلي .

2 – تمثلات الفضاء الصحراوي من خلال المتن :

2 –1: حضور الأفضية الجغرافية الصحراوية و أنواعها :

عندما نقول الصحراء يتهيأ لنا في الذاكرة ذلك الذي العيش الصعب والحر الشديد و أطنان الرمال، والمساحة الشاسعة ، البيئة الجافة القاسية ، والنباتات المتميزة و الكائنات السامة والغير سامة ، وعلى الرغم من كل هذا إلا أنها تحمل العديد من الروائح الخفية التي سنكتشفها من الرواية .

نذكر مثلا قول الراوي : « تلك الصحراء العظيمة لا تأبه بما يحدث فيها ، لا تأبه لا بالحر ولا بالبرد ولا بالزلزال ولا بالعواصف ولا بالضياع القوافل أو اهتدائها إلى

الآبار والفوقارات ، الأشعة حارة ، كأنها هذه المنطقة من الكون هي أقرب نقطة من الأرض للشمس والسماء» .[1]

وهذا ما يؤكد عظمة الصحراء بامتدادها و شساعتها و جمالها على الرغم من قساوة البيئة الصحراوية ، ومع ذلك فقد تجلت فيها عناية الخالق بجمالها الخلاب الذي لا يضاهى ، ويلازم ذكر الصحراء فيقول الراوي : « للنخيل منظر آخر غير عادي» .[2]

ويضيف أيضا : « هذا النخيل المنتشر في هذه الواحات، يقولون أنه لا يشيخ ولا يموت. » [3]

تمتاز الصحراء بامتدادها الواسع الفسيح وشساعتها الهائلة تجعلنا نشعر بلا نهاية لها إضافة إلى مناظر الخلابة الساحرة ، إلا أنها مكانة وعر وصعب لقسوة الحياة فيها بسبب شدة الحرارة وقسوة المناخ .

وهذا ما سيقودنا إلى منطقة موجودة في قلبها هي توات .

2 -1-1: توات :

هي منطقة في الصحراء وتحتوي على عدة قرى ،

يقول الراوي عنها : « وطن توات فيه قصور متعددة تناهز المئتين ، آخذة من الغرب إلى الشرق ، وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط .» [4]

---

[1]-الرواية ، ص 11.

[2]الرواية ، ص 12 .

[3]المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[4]المصدر نفسه ، ص 11.

توات إذا تحتوي على قصور كثيرة ، ومن خلال اللفظة يتضح أنها مباني ضخمة جميلة محصنة قديمة جدا ، تمتد على مسافة واسعة من الغرب إلى الشرق ، وكانت منطقة عامرة ومحورا لتجار المسافرين .

كما ذكر الراوي : « هو بلد مستبحر في العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلاد مالي أو السودان لهذا العهد ، ومن بلد مالي إليه بينه وبين ثغر بلد المسمى غار المفازة المجهولة لا يهتدي فيها للسبل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخريت من الملثمين الطواعن بذلك الفقر يستأجره التجاري على البذرقة بهم بأوفى الشروط . »[1]

كان التجار يأتون من مناطق مختلفة مثل مالي والسودان والمغرب ، مما يبين أنها شبكة تجارية واسعة رغم صعوبة الطريق وعرة .. المفازة المجهولة ، وهذا ما استلزم عليهم أن يعتمدوا على خبراء الطرق ودفع أجور مرتفعة لهم ، لضمان سلامتهم ووصولهم إلى وجهتهم من خلال الرواية نستنتج أيضا أن توات هي محور التقاء العديد من الولايات والعبارة الدالة على ذلك : « في عصر قديم حسب حاخام اليهودي المسافة بين أشهر عواصم التجار والقوافل في إفريقيا مثل تميكتو ، تلمسان ، فاس ، طرابلس والجزائر ، وقائده حساباته شبه دقيقة ، إلا ان نقطة المنتصف بين هذه المدن ، هي واحة صغيرة مختفية في صحراء توات .»[2]

من خلال هذا المقطع يتضح أن منطقة توات عاصمة لعديد من الدول ، فهي محطة استراحة للقوافل التجارية التي تعبر الصحراء ، هذه البقعة الخضراء المتناثرة

[1] الرواية ، ص29 .

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

وسط الكثبان الرملية تاركة بصمتها على الرمال الذهبية وقصورها الطينية إنها ملتقى الحضارات والثقافات.

فجمال توات تناغم وقسوة البيئة الصحراوية ، الحياة التي تنبض فيها ..بظلال النخيل المتراقص تحت أشعة الشمس الحارقة ، وفي صمت الليل وهدوئه المضيء بنجوم لا تعد ولا تحصى

2 -1-2- تمنطيط: منطقة تقع في توات تتميز بالواحات الخضراء وقصور الطوب الكثيرة التي تشبه خلايا النحل ، هي منطقة كثيرة العمران .

يقول الراوي فيها : « هي منطقة يرسم النخيل الأخضر وقصور الطين في تمنطيط لوحة فنية خارقة رسمها فنان في قرون خالية ، وبقيت محافظة على جمالها وأنواعها إلى اليوم او يوم القيامة. » [1]

يؤكد هذا المقطع جمال المنطقة مع استمرار جمالها مهما حدث من تغيرات في الزمن وامتداده ، وكأن جمالها خالد لا يفنى ، فمنظر تمنطيط لا يمل منه مهما طال النظر لها ، إن جمالها أسطوري حتى وإن زال الاخضرار تبقى متميزة .

يضيف الراوي في موضع آخر: « من اعلى تظهر لك قصور الكثيرة المتلاصقة المهجورة مثل مدينة ألقيت عليها قنبلة ذرية حطمت سقوفها ، وتركت الجدران في مكانها واقفة و ظلت واقفة اليوم كله ، لن تمل من النظر إلى تمنطيط من الأعلى »[2]

[1] الرواية ، ص 12.

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

يتبين أنه قد حل دمار هائل بالمدينة ، بحيث دمرت الأسقف و بقيت الدران ثابتة ، وهذا ما يوحي لصلابة المباني ومتانتها ، والنظر إليها من الأعلى يوحي بمشهد بانورامي لدرجة أنه يُبقي المشاهد مندهشا ولا يمل من النظر إليها .

وفي سياق آخر يذكر الراوي : «تمنطيط واحة الثلاثمائة وخمسة وستين قصرا والثلاثمائة وخمسة وستين عين ماء والثلاثمائة وخمسة وستين صانعا وتاجرا يهوديا ولثلاثمائة وخمسة وستين ألف نخلة، والثلاثمائة وخمسة وستون قارة أو نبع ماء .»[1]

يركز الكاتب على الأرقام نفسها ليؤكد أنها كانت تظم عددا كبيرا من القصور السكنية والتجمعات القبلية ، وخمسة وستين عين ماء ، وهذا ما يبين أهميتها كمصدر للمياه في الصحراء ، ويدل على خصوبة المنطقة ، ويشير إلى وجود جالية يهودية كبيرة ومؤثرة في تمنطيط كانت تعمل في التجارة والصناعات المختلفة ، ويستدل أيضا على أنها منطقة زراعية مزدهرة لغزارة إنتاجها.

2-1-3- الهضبة : وهي منطقة مرتفعة من سطح الأرض ، وذات سطح مسطح نسبيا ومرتفعة عما يجاورها ، وهي بذلك مكان إذ اعتلينا رأينا جدال ما حوله و ما يثبت هذا الجزء من الرواية تلك الحقيقة : « إذا حان المساء تسلق الهضبة ، وأنظر إلى القصور وواحات نخيل تمنطيط تفتك ، لتأكد أنك تنظر إلى بانوراما إحدى الأساطير . »[2]

[1] الرواية ، ص 44.

[2] المصدر نفسه ، ص 11.

يظهر لنا هنا منظر جذاب من تحت هذه الهضبة ، منظر لا يتوقعه العقل ، منظر أسطوري زادته الكثبان الرملية الذهبية ، والجبال الشاهقة ، والواحات الخضراء جمالا وبهاء ، وهذا ما يتواجد في الصحراء الشاسعة الخلابة .

وذكرت الرواية أيضا : « من أعلى الهضبة تظهر تلك الأسطورة المحيرة التي يطلقون عليها قصور تمنطيط .»[1]

هذا المنظر إذ هو تمنطيط المذهل الذي تمت مشاهدته فوق من منصة الطبيعة والتي وفرت لنا منظر فريد من نوعه منظر بانوراما إحدى الأساطير ، مما يشير إلى أنه ليس مجرد منظر طبيعي عادي بل يحمل في طياته شيئا مميزا من الجمال والتاريخ .

2-1-4- عين الماء :

هي مصدر من مصادر الطبيعية للمياه يتدفق من باطن الأرض ومن جوفها إلى سطحها ، لها دور أساس في ازدهار الأراضي الزراعية ، كما أنها وجهة جذابة لسياحة الداخلية والخارجية ويفصح عن هذا المورد المقطع السردي الآتي : « كانت عين الماء تتدفق تكاد تغرق الواحات . » [2]

عين الماء تحمل دلالة عميقة تتجاوز مجرد أنها مصدراً للمياه ، فهي ترتبط بالهوية الثقافية والتاريخ الطويل.

وفي سياق آخر ذكرت : « عين الماء في تمنطيط مباركة ، والناس يزورونها و يذهبون بمائها يتباركون به في منازلهم ويتداوون به ، يشربون منه الجرعة والكأس

[1] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
[2] الرواية ، ص13

فيحسون أنهم مفاصلهم شفيت ، وأن معدتهم لم تعد تؤلمهم وأن هضمهم عاد إلى طبيعته ، تلك العين هي زمزم منطقة توات . » [1]

يتضح هنا مدى ارتباط الناس بهذه العين فهي شريان الحياة الأساسي لهذه المجتمع ، و يظهر من خلال المقطع أن العين تعد مكانا مقدسا ماؤها مبارك والناس يزورونها للبحث عن اليمن والبركة ، ووصفوا مائها بماء زمزم في نقائها وبركتها وخصائصها العلاجية ،

2-1-5- قصور الطوب :

قصور الطوب هي قصور الطين ، وهذا النوع من مباني كان يبنى باستخدام الطين كمادة أولية وأساسية ، وهذا الصنف من البناء كان شائعا ومنتشرا في العديد من المناطق الصحراوية ، لأن مادة الطين لها خاصية مميزة ، وهي عازلة للحرارة ، وبما أن الصحراء ذات مناخ حار .. نجد فيها هذا النوع من المباني .

يقول الراوي : « لقصور الطوب شكلا آخر غير شكل القصور توات الطوبية الكثيرة التي لا يعرف أحد عددها ، ولا متي بنيت ولا من بناها .» [2]

من هنا نستنتج قدم هذه القصور ، والزمن التي بنيت فيه قديم لدرجة أن المعرفة الدقيقة بتاريخ إنشائها لم يسجل أو ضاع ، وهذا يدل على مرور أجيال وأجيال على بينائها ، وهوية البناء الأصلية لهذه القصور غير معروفة ، أو أن هذه المعرفة تلاشت مع مرور الزمن .

[1] المصدر نفسه ، ص 13.14

[2] الرواية ، ص12.

ونجد في موضع آخر : « وقصور الطوب هنا يقولون أنها أيضا ترفض السقوط ، وتتحدى ضربات الرياح وعواصف الصحراء وأمطارها .» [1]

لقصور الطوب إذا قوة للمقاومة والعزيمة على البقاء ، فهي ترفض الانبهار رغم الزمن والدهر الطويل والعوامل الجوية القاسية ، إنها لا تستسلم لشدة الرياح والعواصف والأمطار، بل تقاومها وتصمد في وجهها ، هذا يبين من ناحية أخرى متانة وصلابة البناء التقليدي وقدرته على التكيف مع الجو في الفضاء الصحراوي .

كان لسكان هذه المنطقة علاقة وطيدة بهذه القصور لدرجة أنه كلما مسها مكروه كانوا يتحسسون في مكانها ، ولهذا قرروا إنشاء جمعية باسم ذاكرة تمنطيط ، والتي تقوم بحماية هذه الآثار والمحافظة عليها وحمايتها من الزوال والاندثار ، ونفهم من هذا الجزء الذي في رواية : « قال سعيد : صحيح هذه القصور وهذه الآثار لا يمكن أن نظل ننظر إليها وهي تتهاوى ، يجب أن نقوم بحمايتها . قال المغيلي : نقوم بجرد لكل الآثار هنا وكل القصور ، ونحاول أن نرممها . قال مصطفى : كل السكان سيساعدوننا . » [2]

الهدف من إنشاء هذه الجمعية هو الحفاظ على التراث التاريخي وحماية قصور الطين من الانهيار والزوال ، وحماية المواقع الأثرية ، وتوثيق العادات والتقاليد ، ويكن هذا إحياء ذاكرة تمنطيط ، وتجسيد أرشيف للمنطقة ، فإن هذه الجمعية تم تأسيسها لصون جميع جوانب تراث منطقة تمنطيط .

[1] المصدر نفسه ، والصفحة نفسها.

[2] الرواية ، ص 97،98.

2-1-6- الواحة :

وهي البقعة الخضراء في قلب الصحراء بحيث تنعم بموارد مائية عذبة .

يقول الراوي : « كانت واحة تمنطيط تخرج من وضع محطة لاستراحة القوافل المسافرة إلى أسطورة أو واحة مشعة ، نسكن في تمنطيط أو نموت .» [1]

واحة تمنطيط هي ليست فقط محطة عبور ، بل هي مكان للاستقرار والأمان لهؤلاء السكان ، فبنظرهم هي ليست فقط مسكن ، بل يعتبرونها مثواهم الأخير ، وهذا يوضح شدة الارتباط والتجذر بالأرض والانتماء العميق لها ، فالحياة عندهم يجب أن تبدأ في تمنطيط وتنتهي فيها .

2-1-7-البئر :

وهي عبارة عن ثقب عميق في الأرض للوصول إلى المياه الجوفية يعتبر مصدرا أساسيا للمياه في الصحراء .

يقول الراوي : « وحين أزاحوه وجدوه ..فوهة البئر ، حين نفضوا عنه الغبار ، عثروا على كتابة منحوتة عليه ، لمن لن يهمهم الأمر كثيرا ، نظروا في البئر فلم يجدوا به ماء فتركوه.»[2]

ويقول في بيان آخر : « يعتقدون أن هذه الترجمة هي غير صحيحة ، وأن الحجر لم يكن يغطي بئر الماء ، إنما كان يغطي نفقا يحتوي على الكثير من الكنوز . » [1]

---

[1] المصدر نفسه ، ص 44،45.

[2] الرواية ، ص 77

ويقول أيضا : « وأنهم سألوه هل يعرف أيم يوجد الحجر اليهودي ، وهي يعرف أين هي البئر التي كان الحجر غطاء لها ، وأنهم وعدوه بالكثير من المال .» . [2]

من خلال هذه المقاطع السردية يتبين أن هذا البئر لا يحتوي على الماء كما يخطر في أذهاننا بل يحمل في جفه كنزا وأسراراً ن ويحتوي على موطن بديل محتمل للإسرائيليين وكل هذا يوحي بأن هدف العملية ، والغرض من الحفر هو الوصول إلى هذا الكنز الثمين.

2-2 – أبعاد الفضاء الصحراوي :

الأبعاد في الرواية تضيف جانبا استكشافيا يفتح أفقا للفهم والتفكير رواية حجر تمنطيط أبعاد متعددة تعمل على تشكيل عالمها ومن بينها نذكر

2-2-1- البعد الجغرافي :

تبرز قيمة البعد الجغرافي في الرواية من خلال قدرته على تجسيد فضاء يحمل عمقا يتفاعل مع احداث و يساهم في تشكيلها و توجيهها ، وهذا ما ذكرته سهام السمرائي بقولها : « لا يمكن ان يفصل البعد الجغرافي للمكان بحال عن إحالته المرجعية الواقعية والثقافية والاجتماعية والتاريخية ويحيل على المرجعي بلوازمه كلها

[1] المصدر نفسه ، ص 78،79

[2] المصدر نفسه ، ص 140

ولكنه لا يطابقه بالصورة فالأشياء الموضوعية في المكان أهمية كبيرة في بناء البعد الجغرافي فضلا عن وظيفتها الجمالية . »[1]

البعد الجغرافي يتجاوز خلفية الأحداث ، كونه يخلق نوعا من السحر ليؤثر على القارئ فيستخدم الطرق التي يصف بها المكان ويبنى هذا البعد الجغرافي في الذهن لنتعايش معه .

ويأخذ البعد الجغرافي في الرواية شكله الملموس من خلال المقاطع الآتية :

« آخذة من الغرب إلى الشرق ، آخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيط ، وهو بلد مستبحر في العمران ، وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مائي من السودان لهذا العهد ، ومن بلد مالي إليه بينه وبين ثغر بلد مالي المسمى غار المغارة المجهولة لا يهتدي فيها السبيل ولا يمر الوارد إلا بالدليل . » [2]

يبين الراوي من خلال هذا المقطع أن توات و تمنطيط يقعان جهة الشرق ، وهذا مما يضعها في السياق جغرافي محدد من الغرب إلى الشرق ، حيث تعرف نهايتها الشرقية بتمنطيط مما يخلف إحساسا بمساحة جغرافية لها بداية ونهاية

كما أن الروائي يبين أن الصراء ذات تضاريس صعبة ومسالك وعرة ، وهذا ما أثر على حالة الطرق ، وعسر الظروف السفر على التجار ، لأنها تعد موقعاً جغرافياً مهماً لاحتواء الصحراء على خيرات كثيرة على سبيل المثال الذهب الأسود وغيره ..الخ .

[1] سهام السامرائي ، رواية الأرض والتاريخ والهوية ، قراءات في رواية عكس السعدي المالح ، دار الغيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، (د.ط)، 2015،ص 132.

[2] الرواية ، ص11

من خلال المقطع يتضح ويتبين أنها منطقة عمرانية مزدهرة من خلال عبارة بلد مستبحر في العمران .

كما أنه أعطى الصحراء وصفا يبرز من خلاله طبيعتها القاسية و الصعبة وهذا ما استنتجناه من قوله : « غار المفازة المجهولة .» [1] ، وعبارات أخرى تدل على قسوة المكان مثل وصفه للطقس الصحراوي بأنه "ساخن " و " حار" ، وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات ، إلا أنه يشير إلى أن الصحراء كفضاء غير متأثرة بالظروف المناخية ، ويتضح ذلك من خلال قول الراوي : « تلك الصحراء العظيمة لا تأبه بما يحدث فيها ، لا تأبه لا بالحر ولا بالبرد ، ولا بالزلزال ولا بالعواصف .»[2]

تمنطيط إذا ليست خلفية فقط بل هي روح الأحداث والمحرك للرواية ومركزها وصفت بأنها « مدينة من زمن آخر »[3] ومن خلال هذه العبارة نشعر بالغموض والدهشة والسحر الذي يعتنق المدينة ، أي زمن هذا ؟ تنقل إلى عالم آخر غير مألوف غير مألوف ، ويتضح على أنها ليست مدينة عادية ، بل هي مكان يحمل أسراراً وتاريخاً قديماً

كما تقدم الرواية وصفا لتضاريس الصحراء مما يخلق صورة حية للمكان مثل وصف الراوي لمنطقة تمنطيط بقوله « تمنطيط واحة الثلاثمائة وخمسة وستين قصرا

[1] الرواية ، ص 11.

[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

[3] المصدر نفسه ، ص 12.

والثلاثمائة وخمسة وستين عين ماء والثلاثمائة وخمسة وستين صانعا وتاجرا يهوديا ولثلاثمائة وخمسة وستين ألف نخلة، والثلاثمائة وخمسة وستون قارة أو نبع ماء .» [1]

فالراوي استخدم التكرار للتعبير عن وفرة العناصر الحيوية المتواجدة في واحة تمنطيط من قصور وعيون الماء ونخيل وغيرها ، هذا ما أكسبها قيمة جوهرية .

وفي موضع آخر نجد : « وأنت فوق الهضبة تنظر إلى المدينة أسفلك تحس أنك تنظر إلى المدينة من زمن آخر .» [2]وهذا ما يجعل الهضبة مكانا مميزا وشاهدا على الأحداث ، تمثل الهضبة مكانا للتأمل والتفكير ، بحيث يمكن للشخصية أن تنظر إلى المدينة وتفكر في تاريخها ومصدرها .

و نلحظ أيضا عبارات تدل على الاتساع والبعد وهذا ما تجسد في قول الراوي : « تلك الصحراء العظيمة الشرسة » [3]هذا الوصف يبين اتساع الصحراء فكلمة تلك تشير إلى بعد المكان ، وتؤكد على اتساع وامتداد اشاسع ، وتبين حجمها الهائل الذي يثير الاعجاب والرهبة في آن واحد ، كما توحي لقوتها الطبيعية وظروفها القاسية من غزو العواصف الرملية وغيرها .

فالصحراء هنا ترمز لقوة الطبيعة القاهرة والجمال القاسي . تعددت التضاريس في هذه المنطقة – الصحراء – من حيث الشساعة .

[1] الرواية ، ص44.

[2] المصدر نفسه ، ص 11

[3] المصدر نفسه ، ص 13

ذكر الراوي « عين الماء في تمنطيط مباركة والناس ، يزورونها ويذهبون بمائها »[1] هذا يشير إلى وجود عيون الماء ، أي مياه جوفية في صحراء ، وهي تلعب دورا حيويا في الصحراء .

وتوجد أيضا الجدران والقصور كقول الراوي : « قاموا ببناء القصور حولها فحجبوها .»[2] وهنا وصف بوجود تضاريس مبنية ذات دلالات جغرافية وتشير لتاريخ طويل .

وتظهر أيضا الواحات ، يقول الراوي : « كانت عين الماء تتدفق تكاد تغرق الواحات.»[3] وهنا عنصران جغرافيان يبينان عين الماء وهي مصدر طبيعي للمياه ذات أهمية حيوية في الفضاء الصحراوي ، والواحات التي تعبر عن مساحات خضراء خصبة تقع في الصحراء وتحتوي على عناصر تسهل وتساعد في عملية الاستقرار فالواحة عبارة عن نعمة خضراء في وسط الصحراء الشاسعة .

كما نجد أيضا مكانا آخر غير الصحراء ، والذي يحمل بعدا جغرافياً ألا وهو " تل أبيب" التي تعد مركز القيادة ، والتي يتم وضع الخطط وتجنيد العملاء إدارة العمليات السرية لمحاولة سرقة حجر الأسطوري ، فهي رمزية سياسية قوية ، أي أنها مركز القوة والنفوذ الاسرائيلي .

[1] الرواية ، ص13

[2] المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

[3] المصدر نفسه . والصفحة نفسها .

2-2-2- البعد الثقافي:

البعد الثقافي والاجتماعي هو بمثابة البصمة التي يتميز بها المجتمع معين ، فهو يبين قيمة وتقاليده وعاداته ، فهو مفتاح فهم علاقاته الاجتماعية إذن هو الركيزة الأساسية للهوية الثقافية والوطنية للشعوب بحيث أنه يحفظ الذاكرة والعادات والتقاليد .

ويتجلى البعد الثقافي في الرواية من خلال التأمل في منطقة تمنطيط وهذه بعض المقاطع السردية التي تبين ذلك : « تحس أنك تنظر إلى المدينة من زمن آخر تفصلك عنهم قرون كثيرة » [1]

عندما تنظر إليها تعيدك إلى الماضي من خلال القيم والعادات المختلفة وهنا يحتلنا شعور الانتماء غلى زمنين مختلفين ، زمن مضى زمن الأجداد وزمن حاضرنا المعيش .

فالعادات والتقاليد جزءا من حياة الفرد وأي مجتمع ، ولا بد من وجودها وتجسيدها في أغلب المواضيع فهي تمثل السلوكيات والقيم التي يتبعها أفراد من طقة معينة ، وتتنوع من منطقة إلى أخرى ودورها يهدف إلى تشكيل الهوية الثقافية .

كما ورد في موضع آخر ذكر مجموعة معالم التي تتضمن عادات وتقاليد أفرادها نذكر منها : « هي واحة صغيرة مخفية في صحراء توات ، يخفيها جريد وسعف النخيل وقصور الطوب ، اسمها تمنطيط ، عمرها البربر في عصور قديمة . » [2]

---

[1] الرواية ، ص 12.

[2] المصدر نفسه ، ص29.

قصور الطوب التي تحتوي مجموعة من العادات التي تميز أفرادها ، فهي مركز للحياة العائلية فقصر الطوب بمثابة قلب الحياة للعائلة ... توجد أسرار وخبايا وعادات وتقاليد تتناقلها عبر الأجيال ، وهي بمثابة الذاكرة الجماعية للمجتمع ، والتي تمثل أصالتهم ، وذكرها الراوي في موضع آخر ، على أن هذه القصور ستبقى راسخة إلى يوم القيامة قائلا : « قصور الطين في تمنطيط لوحة فنية خارقة رسمها فنان في قرون خيالية ، وبقيت محافظة على جمالها وألوانها إلى أو إلى يوم القيامة . »[1] ، ومن هنا يتضح أنه لهذه يتضح أنه لهذه القصور الطوبية أهمية كبيرة في التراث ، فهي تعبر عن وحدة المجتمع ، وهي رمزية تاريخية وثقافية عميقة ، وفي سياق آخر نجد : « كان الجميع في مكان الاستقبال ، وكانت فرق البنادق تحشو بنادقها بالبارود ، جاء المسؤولون ببدلاتهم الرسمية والشيوخ بعباءتهم التقليدية البيضاء وعمائمهم . »[2]

ونجد أيضا : « حين وصلت السيارة التي تحمل أعضاء " البعثة" ، تفرقع البارود وبدأ ضرب الدفوف والطبول وزغردت النساء ، وغنى الناس أهازيج الترحيب ، بدأ التلويح بالعلام والقماش الملون وسعف النخيل ، وتم اطلاق البالونات في هواء . »[3]

ونجد أيضا : « في كلمته قال الشيخ : أولا هذه المدينة التاريخية ترحب بكم أيما ترحيب ، فهي منذ فجر التاريخ ترحب بضيوفها ، وتفتح لهم أبواب منازل سكانها ،

[1] الرواية ، ص12. ،

[2] المصدر نفسه ، ص131 .132.

[3] المصدر نفسه ، ص132 .

وبما أنكم عرب ومسلمون ومن بلدان خليجية شقيقة ، وأعضاء في الهيئة العالمية للآثار فنرحب بكم ترحيبا مضاعفا . » [1]

ومن خلال هذه المقتطفات الروائية يتبين لنا أن البيئة الصحراوية القاسية والظروف الصعبة أورثت مجموعة من العادات والتقاليد والقيم الانسانية النبيلة ، والتي أسهمن فب بناء مجتمع متكاثف ومتآزر يتمتع بالعز والكرم .

ومنا فالبعد الاجتماعي فتجسد من خلال :

الحشد الشعبي ، والاحتفالات التقليدية ، الاستقبال الحافل ، مما يؤكد قوة الروابط الاجتماعية ، خبر بروتوكول الاستقبال الحافل وقوة وفخامة الاستقبال يبرز الاعتزاز بالهوية المحلية في تمنطيط .

كما نجد أيضا بعض الطقوس التي يقوم بها اليهود ، يقول الراوي : « انفتح الباب الخشبي الكبير القديم مثلما ينفتح العالم الغامض وانحنى لهم حارس أسود » [2]

و « أخذ وعاء صغيرا به ماء مغمسة فيه وردة صفراء ، فوقه عود لونه بني أخذ العود ومسه في الماء " المقدس " حين انتهى ، أخذ كتابا قديما وبدأ يقرأ عليهم خطبة المهمة المستندة إليهم .»[3]

من خلال هذه المقاطع ودراسة الرواية يتبين لنا بعض الطقوس الدينية التي يقوم بها الخاحام ، وتتضمن هذه الطقوس :

---

[1] المصدر نفسه ، ص133 .

[2] الرواية ، ص 18.

[3] المصدر نفسه ، ص 19.

رائحة الصندل والبخور التي تعم الكنيسة وتكاد تحجب الرؤيا بالبخور عندهم تقليدا للتقرب الروحي ، وتجد أيضا عبارة تدوير القرن والدخان حول رؤوسهم والتمتمة بكلمات غير واضحة ، قد تكون تعويذات للبركة ولحمايتهم من الشر ، وعبارة الماء المقدس والورد والعود الماء هو مبارك يحميهم ويطهرهم ، كل هذه الطقوس تساعدهم وتسهل عليهم إنجاز المهمة المكلفون بها .

2-2-3- البعد التاريخي :

عندما تتأمل في الحاضر ونحاول فهمه، لابد لنا من أن نعود إلى الماضي، فالبعد التاريخي أساس بناء الهوية الثقافية والوطنية للشعوب ، حيث أنه يحفظ الذاكرة والتاريخ والتقاليد .

من خلال دراسة الأحداث وتحليلها في رواية حجر تمنطيط ينقلنا السيد حمدي يحظيه إلى عهدين معينين وفترة محدودة ، ونستنتج هذا من أصل التسمية فكلمة تمنطيط تعود إلى العهود القديمة ، وهي مركبة من كلمتين ..

يقول الراوي : « يقال أنه وجد منذ فجر التاريخ في بيت في تلك الواحة وهو قديم ، ويحمل بعض النقوش والرموز التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، التي تمثل النخيل والفلاحين ورم أنها نقوش منذ ما قبل التاريخ ، إلا أن خطوطها ومعالمها كانت واضحة وضوح الشمس كأنها رسمت أمس فقط .» [1]

[1] الرواية ، ص 33.

من خلال هذا المقطع نستنتج أن عبارة عصور ما قبل التاريخ تشير إلى فترة زمنية تسبق تدوين التاريخ ، والنقوش والرموز على الجدران ، تبين أن الحجر المذكور له تاريخ قديم جدا .

وفي موضع آخر يقول الراوي : « منذ قديم وسكان تمنطيط ونخيلها وقصورها يتحدثون عن مجيء اليهود إلى تلك الواحة .»[1]

من خلال المقطع السردي يتبين أن القصة متداولة منذ القدم ، سكان منطقة تمنطيط التي تعرف وتشتهر بنخيلها وقصورها كانوا يتناقلون قصة مجيئ اليهود إليها ، هدفهم السيطرة على المنطقة ، لأنها تتمتع بالجانب الزراعي وواحات النخيل وهذا يجعلها مصدرا مهما للنخل .

يقول الراوي في موضع آخر : « حكي قديم بلا نهاية يشبه رماد التاريخ العتيق .» [2]

فعبارة حكي قديم بلا نهاية ، تحمل في طياتها قصة طويلة متوارثة بين الأجيال ولا يمكن تحديد بدايتها ونهايتها بدقة ، بحيث شبه القصة برماد التاريخ العتيق ، فالرماد دال على قدم الشيء وتلاشيه ، والعتيق يؤكد على الأصالة والتاريخ القديم ، فهذه القصة هي قصة استيلاء اليهود على كل شيء ماعدا الأرض ، فأرض المسلمين لا تقبل ولا تتحمل وجود الخائنين بها .

[1] الرواية ، ص 27،28.

[2] المصدر نفسه ، ص27.

و يضيف الراوي : « دخل الرئيس الفريق في تلك اللحظة حاملا حزمة من ملفات التقارير والمعلومات القديمة والحديثة ، التي تم جمعها عن تواجد اليهود في تمنطيط ، من خلال لون الورق وشكله يمكن تحديد هل تلك معلومات قديمة أم حديثة . » [1]

من خلال هذا يتضح وجود وثائق ومعلومات قديمة جدا ، قد تعود إلى عصور غابرة ، وعبارة " معلومات قديمة " تؤكد على أهمية التاريخ و المعرفة السابقة في مسعى واهتمام الفريق فوجود هذه الأوراق يوحي بأن منطقة تمنطيط والموضوع الذي يثير اهتمام الفريق الاسرائيلي به جذور تاريخية عميقة .

3 – علاقة الفضاء الصحراوي ببنية المكونات السردية :

الرواية كعمل أدبي لها العديد من المكونات التي تقوم عليها ، هذه المكونات ترتبط ارتباطا وثيقا ببعضها ، ولها علاقة بالفضاء الصحراوي ، ومن بين العناصر التي وجدناها لها صلة بالتيمة الصحراوية في رواية حجر تمنطيط هي الشخصية و الزمن والوصف .

3-1: علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصيات :

الشخصيات : «هي كل مشارك في أحداث الحكاية سلبا أو إيجابا ، أما من لا يشارك في الحدث فلا تنتمي إلى الشخصيات ، بل يكون جزء من وصف ، الشخصية عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية ». [2]

[1] الرواية ، ص70.

[2] [2] لطيف الزيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ،دار النشر للنشر ، لبنان ، ط 1، 2002، ص 133، 134.

بالرغم من أهمية المكان في الرواية ، إلا أنه يظل إطار وكيانا مخفيا ، ما لم تمنحه الشخصيات وجودا ملموسا من خلال حركتها و أحداثها .

و « إن حركية المكان وشموليته تنبثق من حيوية الشخصية وسيولة المكان المندفقة دون توقف أي من العلاقة الجدلية وعلاقة التأثير المتبادل أو التضاد والتنافر ما بين الشخصية و المكان» .[1]

و العلاقة التي انبثقت بين الفضاء الصحراوي والشخصيات هي علاقة تلاحم وحب لهذه البيئة الصحراوية القاسية ، ومن بين الشخصيات التي وجدت في الرواية والتي لها علاقة بالفضاء الصحراوي نذكر :

عبد الله : هو راوي الأحداث و سارد الحكايات في هذه الرواية ، و يتبين ارتباطه المتين و الشديد بتمنطيط من خلال طريقة قصه للأحداث

والحكايات التي جعلنا نتخيلها ونتعايش معها ، هذه الأقوال الناشئة من تربة هذه المكان وتاريخه وثقافته ، ولهذا وصف حكيه على أنه حكي « منسوج مثل نسيج حصير تمنطيطي من سعف وجريد النخل ، أو مثل زربية تمنطيطية من الصوف الملون ..[2]

من خلال هذا الحكي يتبين الأصالة ومدى الارتباط بالهوية ، لتشبيه كلامه بمواد تستخدم لصناعة الحرف التقليدية ، وهذا ما يشير بالعلاقة الحميمية بينه وبين المكان تمنطيط .

[1] مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكايات بحار ، الدقل المرفأ البعيد)، وزارة الثقافة ، دمشق (د.ط) ، 2011 ، ص182.

[2] الرواية ، ص27.

يقول الراوي : « دخل الرجال الثلاثة **عاموس** ، ابراهام وحاييم والمرأة ريتا إلى قاعة في مبنى مجهول في مجتمع سكني محاط من كل الجوانب بالأجهزة الإلكترونية الحساسة . »[1]

عاموس ، ابراهام وحاييم يمثلون شخصيات رئيسية مألوفة للفضاء الصحراوي ، هم يهود وأعضاء من فوج اسرائيلي ، درسوا اللغة العربية في مختلف الدول العربية بما في ذلك المغرب ، هذه الدول تمثل أماكن تعلمهم واكتسابهم اللغة العربية لن المكان المستهدف " تمنطيط" وهو مكان عربي ، تمنطيط بالنسبة للفوج الاسرائيلي مكان مهم ، ولكن المكان الذي صعب عليهم تحديده وتحديد موقعه ، فهو مكان موجود في الصحراء وصعب تصويرها حتى بالآلات التصوير والأجهزة المتطورة الحديثة .

هذا ما اعترف به عضو من جماعة اسرائيل قائلا : « كيف يمكن أن تنجو منا هذه المدينة المبنية من الطوب والتي يحرسها النخيل والصخور ؟ كيف لم تستطع أقمار واردات اسرائيل أن تصل إلى قلبها وتعرف ماذا يوجد بداخلها . » [2]

المدينة الغامضة والمبهمة في قلب الصحراء الجزائرية ، اذ هي محور اهتمام الفوج الاسرائيلي والهدف المركزي وعبارة " تنجو منا هذه المدينة المبنية من الطوب " تؤكد أنهم يحاولون الدخول إليها وهذا ما يجعل المكان النقطة الفعلية لتنفيذ مهمتهم ، والاستلاء على الحجر الموجود في منطقة تمنطيط .

[1] الرواية ، ص 17.

[2] المصدر نفسه ، ص 23.

يقول **الراوي** في موضوع آخر : « هي ليست حكاية أن اليهود تسللوا متخفيين في بهيم الليل إلى تمنطيط وتوات وسرقوا العهد والذمة ، لكن هي حكاية أن اليهود استولوا على كل شيء ما عدا الأرض . »[1]

اليهود : هم مجموعة أشخاص دخلوا خفية في ظلام الليل إلى توات وبالتحديد منطقة تمنطيط ، وقاموا ببناء مساكنهم ليلا ، كي لا يتفطن لهم سكان المنطقة ، هدفهم الاستقرار في المنطقة وغزوها والسيطرة على خيراتها وممتلكاتها .

وظهرت شخصيات يهودية أخرى في الرواية منها:

« كان الحاخام الواقف عن منبر ، تحت الصليب ، صامتا أيضا ، وبدا مثل تمثال جديد مصنوع من الرخيم مصفر أو كشخص من زمن انتهى . » [2]

الحاخام : هو القائد والزعيم الروحي لمجتمع اليهود ، يقوم بطقوس البخور الأزرق ، والماء المقدس وقراءة الخطب المباركة على رجال الثلاثة والمرأة قبل الشرع في القيام بالمهمة لحمايتهم ومباركتهم .

ويقول الراوي : « عادوا إلى قاعة الاتصالات مساء نفس اليوم ، ووجدوا شيخا في انتظارهم».[3]

ومثله **الشيخ** : وهو رجل متقدم في السن وعضو في الموساد الاسرائيلي ورئيس المهمة ومخطط إلى عملية الاختطاف الحجر .

---

[1] الرواية ، ص27 .

[2] المصدر نفسه ، ص 19.

[3] المصدر نفسه ، ص 21.

يقول الراوي : « وجدوا أنفسهم في غرفة يجلس فيها رجال يشبهون التماثيل جلودهم تشبه البلاستيك ، وعيونهم تشبه العيون الاصطناعية ».[1]

رجال يشبهون التماثيل هم رجال متواجدون في مبنى مجهول محاط بالأجهزة الحساسة، هم أفراد ينتمون إلى جمعية يهودية متخصصة في تهريب الآثار، فالصحراء هدفهم وهي ليست موقعا جغرافيا عابرا.

فهم ينقضون الأخبار والمعلومات بغرض صياغة خطة استراتيجية ناجحة لتنفيذ المهمة ودخول المنطقة .

وتوجد أيضا **المرأة ريتا** : وهي شخصية يهودية ترافق كل من غاموس واراهام وحاييم ، هي جزء من الفوج الاسرائيلي تدعي أنها حامل ، وفي الشهر الخير ولا يمكنها السفر ، ولكن هذه خدعة ليتمكن البقية من دراسة الواحة ، بحثا عن مكان استراتيجي للاستقرار في الواحة التي تعد محطة توقف استراتيجية ، هدفهم هو المراقبة والتخطيط السري من أجل بلوغ المدني .

إن علاقة اليهود بمنطقة تمنطيط والفضاء الصحراوي ككل نهب الخيرات الموجودة في المنطقة والاستيطان والاستقرار للربح ، لأن المنطقة الصحراوية تزخر بالثروات الطبيعية ، وعلاقة استكشاف للكشف والبحث عن الآثار والكنوز المدفونة تحت الأرض في المنطقة ، ويبقى تركيزهم في الحفر و البحث عن الحجر .

إن هدف هذه المجموعة اليهودية هو اختطاف الحجر ذي الأهمية كبيرة بالنسبة لهم ، وإعادته إلى تل أبيب .

[1] الرواية ، ص 17 .

البربر : وهم سكان الواحة الأصليون الذين لجأ إليهم التجار الثلاثة والمرأة وأقسموا تحت النخيل ألا يحرقوا نخلة وأن لا يقوموا بأي شيء سيء ، وأنهم لا يشربون ماءا بدون إذن منهم ، وكل هذا كان خدمة للبقاء في الواحة والتحري على المنطقة .

يقول الراوي : « كان سكان تلك الواحة من البربر يسألونهم عما يفعلون ، فيقولون لهم ، أحيانا أنهم ينتظرون قافلة لازالت في الطريق »[1]

ويقول الراوي عن سمية : « ورثت سمية ، ابنة العائلة التي تعود ملكية الحجر لها ، و مهمة مواصلة السؤال والبحث عن الحجر. » [2]

وسمية شابة في مقبل العمر تدرس في آخر سنة من الثانوية ، هي ابنة العائلة التي كانت تمتلك الحجر ، فهي ورثت مهمة البحث والاستفسار عن الحجر الضائع .

ونضيف إليها **عبد الرحيم** ، الذي يقول عنه الراوي : « تعرفت على عبد الرحيم زميلها في القسم أحبها عبد الرحيم بجنون . » [3]

وفي موضع آخر : « قال عبد الرحيم: هذه عاداتنا منذ خلقنا الله على الرض وسنظل كذلك . »[4]

عبد الرحيم هو زميلها في الدراسة وهو العاشق الولهان ، كان مستعد لفعل أي شيء من أجلها حتى أنه وصل إلى حد الجنون في مطاردتها وقبوله بشرطها العجيب أولا وهو إحضار الحجر الضائع كمهر للقبول به كزوج المستقبل .

---

[1] الرواية ، ص34.

[2] المصدر نفسه ، ص 34.

[3] المصدر نفسه ، وصفحة نفسها .

[4] المصدر نفسه ، ص 138 .

ويضيف الراوي قائلا : « قال السعيد : صحيح هذه القصور وهذه الآثار لا يمكن أن نظل ننظر إليها وهي تتهاوى ، يجب أن وتقوم بحمايتها .

قال المغلي : نقوم بجرد كل الآثار هنا و وكل القصور ونحاول ان نرممها .

قال مصطفى : كل السكان سيساعدوننا ، والكل متحمس لهذا المشروع . » [1]

وفي موضع آخر يقول الراوي : « كان الأربعة متقاربين في الأعمار أو كانوا أقرانا ، ومستوياتهم الثقافية متقاربة أيضا ، تخرجوا من جامعة أدرار في نفس السنة . » [2]

هنا نجد أصدقاء عبد الرحيم ومؤسسي جمعية ذاكرة تمنطيط للحفاظ عن آثار المنطقة من الاندثار وهم أصدقاؤه الذين عاشوا معه لحظان الفرح عند قبول سمية بعبد الرحيم ، حتى يتفاجؤوا بشرطها الغريب ، وتراجعوا عن الفرح وأخبروه أنه قد يكون العثور عليه مستحيلا بين تلك واحات النخيل والرمال الكثيفة والقصور المتلاصقة .

علاقة هؤلاء الأشخاص بالفضاء الصحراوي ومنطقة تمنطيط خاصة هي علاقة معقدة متعددة الأبعاد ، هي ليست فقط بقعة جغرافية ، بل تتعدى ذلك إلى كونها علاقة تاريخية ، اجتماعية ، ثقافية ، اقتصادية .

العلاقة التاريخية بالنسبة لهم مستودع للتاريخ ومخزن للتراث الثقافي المتمثل في العادات والتقاليد المتوازنة والحكايات والأساطير الشعبية كلها تنطوي على جانب تاريخي .

[1] الرواية ، ص 97،98.

[2] المصدر نفسه ، ص 97.

أما في الناحية الاقتصادية فتمنطيط هي المركز التجاري الحيوي ، لأنها كانت ملتقى لقوافل التجارية بفضل موقعها الاستراتيجي ، واحتوائها على سوق نشط تتم فيه تبادل السلع بين التجار المحليين والقادمين من مناطق مختلفة ، وهذا ما جعل محل أنظار للأعداء فعبد الله يقول كلمت سأله أحد عن الحكي التاريخي : « هي ليست حكاية أن اليهود تسللوا متخفيين في بهيم الليل إلى تمنطيط وتوات ، وسرقوا العهد والذمة لكن هي حكاية أن هؤلاء اليهود استولوا على كل شيء ماعدا الأرض . »[1]

وهنا يتضح أن اليهود سيطروا على كل ممتلكات المنطقة ، لأن طموحهم كان الغنى وجمع الاموال و الترعرع في المنطقة لسرقة الحجر الذي يعتقدون ان عليه نقوش وحروف تبين لهم أن يذهب الإسرائيليون ان هزموا وهنا نجد اعتراف وشهادة اليهودي فوجدنا ما يأتي : « هؤلاء المسلمون عكسنا تماما ، انشغلوا بالارتباط بالأرض ونسج علاقة معها ، فهم يحبونها وتحبهم ومستعدون للتضحية من أجلها والاحتفاظ بها ، لقد انشغلوا بدينهم وبغرس النخيل وبحفر فقرات المياه وبناء لقصور الطين ، بينما انشغلنا نحن اليهود بجمع الأموال وتخزينها وهم كانوا يحفرون ليغرسوا وسقي النخيل ونحن كنا نحفر لدفن الكنوز . » [2]

فدلالة هذه الشخصيات أي أفراد المنطقة و أعضاء جمعية ذاكرة تمنطيط هي علاقة تمسك وتجذر بالمنطقة وعلاقة حب وتأصل بالفضاء الصحراوي رغم قساوته وتقلبات مناخه ، كل هذا يعكس الانسجام العميق لابن الصحراء مع بيئته .

[1] الرواية ، ص 27.

[2] المصدر نفسه ، ص 75

فعلاقة الشخصيات بالفضاء الصحراوي علاقة فخر بالوطن الأم ، وحمايته بالنفس والنفيس ، حتى تبقى قصور الطوب صامدة كشواهد على التاريخ العريق والأصيل ، وتكيفها مع قساوة البيئة الصحراوية .

3-2-علاقة الفضاء الصحراوي بالزمن:

يري جيرار جينيت (Gèrard.genette) : « أن من الممكن أن نقص الحكاية من دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيدا عن المكان الذي ترويها فيه ، بينما يستحيل علينا ألا نحدد زمنها بالنسبة إلى زمن فعل السرد ، لآن علينا روايتها إما بزمن الحاضر وإما بزمن الماضي وإما بالمستقبل ، وربما بسبب ذلك كان تعيين زمن السرد أهم من تعيين المكان . » [1]

فجينيت يرى بأن الزمن ليس مجرد خلفية للأحداث بل يعد عنصرا أساسا في بنية الرواية ، ودمج الأزمنة بشكل يخدم بناء الفن لها .

تتحدد معاني الزمن في نطاق المكان ، ويتم استيعاب المكان في إطار الزمن ففي الرواية نجد لزمن علاقة مع الفضاء الصحراوي يقول الراوي : « اليوم ساخن والحرارة تحتفل بحرق النسمات الهوائية في الجو » [2] .

إن كلمة اليوم تحدد الخطة الراهنة التي يبدأ بها الوصف ، أي يستخدم الزمن كالحاضر لتنطلق الأحداث .

---

[1] جيرار جينيت ، خطاب الحكاية، تر/محمد معتصم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط2، 1997 ، ص61.

[2] الرواية ، ص106،107.

وفي موضع آخر يقول الراوي : « مالم يفعل السكان شيئا قد تنتهي هذه الأسطورة التي عمرها اكثر من عشرين قرنا نهاية تراجيدية . » [1]

وهنا يبين تركيز كبير على مصير الأسطورة في المستقبل ، ويتضح استرجاع في عبارة "عشرين قرنا" وعنا يشير إلى الماضي مع استشراق ما يمكن أن يقع لهذا المكان .

ونجد في موضع آخر : « عند منتصف النهار رن تليفون عبد الرحيم كان على الخط موظف من البلدية ، يخبرهم أن بعثة الآثار الدولية ستصل مساء اليوم إلى تمنطيط .» [2]

إذا نستنتج الزمن من خلال عبارة عند" منتصف النهار" وذلك من خلال تلقي عبد الرحيم مكالمة هاتفية ، في هذه الفترة من الزمن و أيضا مساء اليوم ، وهنا إشارة إلى حدث سيقع في وقت لاحق من نفس اليوم .

ويقول الراوي : « في الصباح ، شاع بين سكان القصور التي يتواجد فيها القصر الذي سكنه الفريق ، أن شيئا غريبا غير عادي حدث تلك الليلة . »[3]

من خلال هذا المقطع يتضح استباق واسترجاع في آن واحد الاستباق في "الصباح" ، مما يثير الفضول والتساؤل حول تأثيره على الحاضر فهو زمن يشير إلى فترة زمنية إلى وقت وقوع حدث في حالة معينة "تلك الليلة " تشير إلى فترة زمنية ماضية وأحداث شهدتها تلك الليلة ، ويبين أن حدثا غريبا وقع أثناء تلك الليلة .

---

[1] المصدر نفسه ، ص131.

[2] الرواية ، ص131.

[3] المصدر نفسه ، ص76

وفي موضع آخر يقول الراوي : « وبكل تأكيد سيتحدثون غدا بإسهاب ، وسيفسرونه حسب أهوائهم فعلا ، حدث الذي توقعوا » [1]

يتضح إذا أن الناس سيفسرون ما شاهدوا على حسب آرائهم الشخصية وهنا نجد استباقا للحديث الذي سيدور في اليوم الموالي .

ويضيف أيضا : « في الصباح ،شاع بين سكان القصور التي يتواجدون فيها القصر الذي سكنه الفريق أن شيئا غريبا غير عادي حدث تلك الليلة ، قال أحمد الرجال أنه كان يتفرج في التلفزيون ، وأحسن بذبذبات مضيئة تدخل داره ، وأن جهاز التلفزيون احترق ، قال آخر أنه نهض في منتصف الليل ، وهو يحس بدوار في رأسه»[2]

وهنا يتبين أن أعضاء الكوموندوس بدأوا في تنفيذ مهمة التجسس ، وعبارة تلك الليلة تشير بوضوح غلى وقوع الأحداث في الليلة سابقة وهنا استرجاع للأحداث وقعت في ليلة محددة وهي انطلاق عملية التجسس .

يقول الراوي : « وقال البعض من سكان تلك الأحياء أنهم أصبحوا يسمعون حفرا في الليل تحت جدران القصور ، غير بعيد عن مكان حارة اليهود القديمة ، وأن هذا الحفر مستمر منذ ليلتين ولا يتوقف إلا وقت الفجر . »[3]

من خلال هذه العبارة يتضح تحديد الفترة الزمنية في "اليل" ، فالأفراد يسمعون الحفر في هذا الوقت بالتحديد ، وأن هذا الحفر المستمر منذ ليلتين بالتحديد ، وهنا إشارة إلى أن هذا الحفر بدأ قبل ليلتين من الوقت الحالي ، وهو مستمر ولا يتوقف إلا

[1] المصدر نفسه ، ص 101.

[2] الرواية، ص 136،137

[3] المصدر نفسه ، ص 145.

وقت الفجر ، وهنا تحديد الوقت توقف فعل الحفر ، ونستنتج هنا استرجاعا للماضي القريب "قبل ليلتين" فأعضاء الكموندوس انطلقوا في مهمة البحث عن الحجر ، ونلاحظ أنهم اختاروه فترة الليل للتخفي والسرية واستغلال هدوء الليل مما يسهل عملية الحفر وتجنب الازعاج من قبل سكان المنطقة .

3-3- علاقة الفضاء الصحراوي بالوصف :

الوصف : « هو تمثل الأشياء أو الحالات أو المواقف أو الأحداث في وجوهها ووظيفتها مكانيا وزمانيا ، قد يحدد الراوي الموصوف في بداية الوصف ليسهل على القارئ الفهم والمتابعة . » [1]

الوصف إذا نقل وتقديم للأحداث أو للشيء كما هو وذلك بإعطاء صورة حيه تترك انطباعا في الذاكرة، وتنقلنا من العالم الواقي إلى التعايش مع المشهد الموصوف أو الأحداث المسرودة بآلية الوصف .

هذا ما حدث لنا عند قراءة رواية حجر تمنطيط فإنها اخذتنا إلى عوالم مختلفة وشعرنا بجمال المنطقة وآثارها فمن خلال الوصف عشنا ملحمة أسطورية في صحراء الجزائر، وهذه بعض مقاطع الوصف التي تترك صورة حية في الذهن نبين منها على ما يأتي : « اليوم ساخن ، و الحرارة تحتفل بحرف النسمات الهوائية في الجو، وتلك الصحراء العظيمة لا تأبه بما يحدث فيها لا تأبه لا بالحر ولا بالبرد، ولا بالزلزال ولا بالعواصف ولا بضياع القوافل أو اهتدائها إلى الآبار والفوقارات الأشعة حارة، كأن هذه النقطة من الكون هي أقرب نقطة من الأرض للشمس والسماء ، إذ حان المساء تسلق

[1] لطيف الزيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، ص 171.

الهضبة وأنظر إلى قصور و واحات نخيل تمنطيط تحتك ، لتتأكد أنك تنظر إلى بانوراما احدى الأساطير .» [1]

من خلال هذا المقطع تلاحظ أن الراوي يصيف لنا حالة الجو والمكان بطريقة مفصلة وكأننا نرى ونشعر بشدة الحرارة الى تكاد تلتهم النسمات العابرة ، ولكن رغم ضخامة الصحراء وثباتها لا تأبه ولا تبالي بما حدث فيها فالصحراء تتحدى كل الصعوبات ولا تأبه ، و يصف منظر تمنطيط عندما يحلّ المساء بالمنظر الأسطوري وذلك لامتدادها الواسع ونخيلها المتلاصق .

هذا المشهد وحده يفصلنا عن الحاضر وينقلنا إلى الماضي الرائع، وكأننا بين عالمين مختلفين عالم معاش و عالم آخر من نسيج الخيال .

ويقول الراوي أيضا : «المكان تل أبيب ، الساعة الثالثة والنصف مساءً، والجو حار وخانق. دخل الرجال الثلاثة: عاوس، ابرهام، وحاييم، والمرأة. ريتا إلى القاعة في مبنى مجهول مجمع سكني ، محاط من كل جانب بالأجهزة الإلكترونية الحساسة وجدو أنفسهم في غرفة يجلس فيها رجال يشبهون التماثيل ، جلود وجوههم شبه البلاستيك وعيونهم تشبه العيون الاصطناعية »[2] .

من خلال هذا الجزء ، وصفا تفصيليا للرجال الإسرائيليين والمكان الذي يتواجدون فيه ، هذا ما ترك في الذهن نوعا من الحيرة نحو هؤلاء الافراد المختلفين حتى نكتشف هوتهم الحقيقية فهم أعضاء من جمعية يهودية متخصصة في تهريب الآثار .

[1] الرواية ، ص 11 .

[2] الرواية،ص17

ونجد أيضا: «كان الكنيس من الداخل صامتة مثل مقبرة تنتمي لعالم آخر ليس الحاضر وكانت تفوح من جدرانها رائحة صندل قديم وروائح أخرى مختلطة ، كان الحاخام الواقف على المنبر ، تحت الصليب، صامتا أيضا، وبدا مثل تمثال جديد مصنوع من رخام مصفر أو كشخص من زمن انتهى كان يحمل في يده فرنا يتضوع منه بخور أزرق مركّز »[1]

فهذا المقطع يقدم و صفا لطقس غريب تقوم به شخصية غامضة تدعى الحاخام في مكان قديم تفوح منه روائح مختلطة مكان صامت يحمل طابعا جنائزيا عند اليهود ، وهنا يتم التركيز بشكل خاص على وصف المكان .

[1] الرواية ،ص19.

الخاتمة

من خلال دراستنا التطبيقية" **لتجليات الفضاء الصحراوي في رواية حجر تمنيطيط**" "**للسيد حمدي يحظيه**" خرجنا بالنتائج الآتية :

- لغلاف الرواية بعناصره البصرية الحية من عنوان وشخصيات بملابس تقليدية وتضاريس رملية نقطة البداية تمعننا بحيث يوحي عنوان الرواية وغلافها ، أننا أمام أحداث تأخذ مجرياتها في الرواية .
- من خلال تحليل العنوان والغلاف انتقلنا مباشرة إلى صلب الموضوع وكشفنا أن الأفضية الجغرافية هي مفتاح لفهم الأحداث ، فمن الصحراء الشاسعة تتوغل إلى توات ، ثم إلى قلبها حيث تقع تمنطيط التي احتوت على تنوع جغرافي لافت بما فيها من هضاب ، واحات ، وعيون ماء ، قصور الطوب ، وصولا إلى البئر الذي شغل بال الكوماندوس الإسرائيلي فكان نقطة اهتمامهم وتركيزهم .
- من هذه الأفضية برزت أبعاد مختلفة بما فيها البعد الجغرافي للمكان الذي كان عنصرا جوهريا لتصميم هيكل الرواية ، ورسم ملامح الشخصيات وتحريك الأحداث .
- ساهم البعد الاجتماعي في ابراز ملامح الفرد الصحراوي ومدى تماسكه واتخاذه ، وهذا ما وطد القيمة الاجتماعية للمنطقة.
- ساهم البعد التاريخي في الجمع بين الماضي إذ يعد الركيزة الأساسية التي نقلت قصة تاريخية والكشف عن جذورها.

- كان هناك ارتباط وثيق بين هذا الفضاء وبقية مكونات السرد الأخرى بما فيها :
- الشخصيات في رواية حجر تمنطيط للسيد حمدي يحظيه ليست مجرد أداة سردية كائنات حية تساهم في فعالية الرواية ، إذ كان أما دور فعال في تغيير مجرى الأحداث .
- الزمن والمكان ركيزتان أساسيتان في الرواية ، فحضور أحدهما يستدعي حضور الآخر .
- عمل الوصف في الرواية على خلق صورة حسية للعالم الذي تدور فيه أحداث الرواية، وتجاوز كونه مجرد آلية سردية جمالية بل كان عنصر محوريا في استحضار العالم الروائي بكل حواسه.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. السيد حمدي يحظيه ، حجر تمنطيط ، دار النشر الوطن اليوم ،الجزائر، 2023.

المعاجم :

2. ابراهيم مصطفى وآخرون ، معجم الوسيط، ج 1 ، المكتبة الاسلامية ، تركيا ،(د.ط) ، (د.ت) .
3. ابن منظور، لسان العرب، مج 15، دار صادر لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 4، 2005.
4. أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج 3 ، تج/ عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر لطباعة والنشر والتوزيع ، 1979.
5. الزبيدي ، تاج العروس من واهر القاموس ، مج 20 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 2007.
6. فيصل الأحمر ، معجم السيمائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010.
7. فيروز آبادي ، قاموس المحيط ، تج / أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة (د.ط) ، 1429، 2008.
8. لطيف الزيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ،دار النشر للنشر ، لبنان ، ط 1، 2002.

9. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس ، ج12، مصطفى حجازي ، مطبعة حكومة الكويت ، 1973.

المراجع :

10. ابراهيم محمد الساسي العوامر ، الصروف في تاريخ صحراء سوف ، الجزائر ، ط1، 2007.

11. تحريشي محمد ، النص والنصية في الرواية الصحراوية ، رواية وراء السراب ...قليلا لإبراهيم الدرغوثي أنموذجا .

12. جيهان علي الامرداش ، الرواية المصرية من القرن الحادي والعشرين ، مؤسسة شمس للنشر والإعلام ،2024.

13. حسن نجمي ، شعرية الفضاء السردي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ط1 ، 2000.

14. حميد الحمداني ، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991.

15. حميد لحمداني، بنية النص السردي ،(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،المغرب ،2000.

16. حورية الظل ،الفضاء في الرواية العربية الجديدة ،"مخلوقات الأشواق الطائرة " لإدوارد الخراط نموذجا ، دار نينوي ، دمشق ،(د.ط) ، 1432 ، 2011م .

17. سعد الله العبد الله الصويان، الصحراء العربية ثقافتها وشعرها عند العصور ، قراءة أنثروبولوجي، الشبكة العربية ، بيروت، ط1 ، 2010.

18. سعيد اليقطين ، قال الراوي (البنيات الحكائية في السيرة الشعبية) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1997 .

19. سعيد بنكراد ، السيمائيات والتأويل ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2005.

20. سهام السامرائي ، رواية الأرض والتاريخ والهوية ، قراءات في رواية عكس السعدي المالح ، دار الغيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، (د.ط)، 2015.

21. شفق العوضي الوكيل ، محمد عبد الله سراج ،المناخ والعمارة المناطق الحارة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط3 ،1999.

22. صالح ولعة ، المكان ودلالته في رواية مدح الملح لعبد الرحمان منيف ، عالم الكتب الحديث ، إربد ،الأردن ، د.ط ،2010م.

23. صلاح صالح ،الرواية العربية و الصحراء ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1996 .

24. صلاح فخري، في الرواية العربية الجديدة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009.

25. عبد القادر بن سالم ، بنية الحكائية في النص الروائي المغاربي الجديد ، المنشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2013.

26. عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية البحث في تقنيات السرد ، المجلس الوطني الثقافة والفنون والادب، الكويت ، (.د.ط).

27. محمد غرام ، فضاء النص الروائي ، مقاربة تكوينية في أدب نبيل سليمان ،دار الحوار ، سوريا ،ط1 ،1996.

28. مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا (حكايات بحار ، الدقل المرفأ البعيد)، وزارة الثقافة ، دمشق (د.ط) ، 2011 .

29. ياسين النصير، الرواية والمكان، وزارة الثقافة والاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، (د.ط) ، (د.ت).

المراجع المترجمة :

30. جيرار جينيت وآخرون ، الفضاء الروائي ، تر / عبد الرحيم حزل ، افريقيا الشرق ، لبنان ، 2002.

31. جيرار جينيت ، خطاب الحكاية ،تر/محمد معتصم ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،ط2 ، 1997.

32. ما كس او بنهايم، البدو، ماجد جبر، دار الوراق للنشر، المغرب ، ط1 ، 2012 .

33. ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة تر،/ فريد أنطونيوس ، منشورات عويدات، لبنان، ط3 ، 1986 .

المجلات:

34. الاء احمد واخرون ، دليل انتاج نخيل التمر ، المركز الوطني للبحوث الزراعية ونقل التكنولوجيا ، مشروع تنمية الصادرات البستانية ونقل التكنولوجيا ، الاردن ،(د.ط)،2007.

35. بوعلام صماري وسامية عليوات ، المتخيل السردي ودوره في الكشف عن جماليات الصحراء المرجعي ، مجلة القارئ لدراسات الأدبية والنقدية ، مج 7،ع1،مارس 2024.

36. فتيحة بركان ، الصحراء وثقافة شعوب الهامش في رواية عيون الطوارق لا فالبحث ، مجلة التواصل ، عنابة ، الجزائر ، ع25، مارس 201

فهرس المحتويات:

الشكر

مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول : ماهية الفضاء الصحراوي .

1-مفهوم الفضاء 05

1-1.لغة 05

1-2.اصطلاحا.....06

2-أشكال الفضاء.....07

3-الفرق بين الفضاء والمكان 12

4-مفهوم الصحراء..... 15

4-1-لغة 15

4-2-اصطلاحا 16

5-خصائص الصحراء 19

6-توظيف الصحراء في الرواية 22

الفصل الثاني : حضور الفضاء الصحراوي في رواية تمنيطيط للسيد حمدي يحظيه

1-حضور الفضاء الصحراوي من خلال العتبات النصية 26

1-1-عتبة العنوان..... 26

1-2-عتبة الغلاف الأمامي.....29

2-تمثلات الفضاء الصحراوي من خلال المتن 30

2-1-حضور الأفضية الجغرافية الصحراوية..... 39

2-2-أبعاد الفضاء الصحراوي.....39

2-2-1-البعد الجغرافي.....44

2-2-2-البعد الثقافي 47

2-2-3-البعد التاريخي 49

2-3-علاقة الفضاء الصحراوي ببقية مكونات السردية 49

2-3-1-علاقة الفضاء الصحراوي بالشخصيات.....57

2-3-2-علاقة الفضاء الصحراوي بالزمن.....60

2-3-3- علاقة الفضاء الصحراوي.....60

الخاتمة .....أ-ب

قائمة المصادر والمراجع.....67

فهرس المحتويات.....72

ملخص.....75

ملخص البحث :

في رواية حجر تمنطيط للروائي السيد حمدي يحظيه تصبح الصحراء كيانا حياً في مجريات الأحداث، إذ تجاوزت كونها مشهدا خلابا فحاولت أن تجمع بين القسوة والجمال، تتجلى القسوة في مخاطرها الطبيعية بينما يبرز جمالها من خلال سحرها الجذاب الذي يلامس لأعماق الروح ، و هذا ما حاول البحث كشف كنهه ، فامتد ليبحث عن ماهية الفضاء الصحراوي أولا ، ليغوص في أعماقه ويكشف عن أضربه المتنوعة والأبعاد التي اتخذتها في الرواية الآنفة الذكر.

In the nouvel Hajar T’amatît by the writer sayid Hamdi Yahdih the desert becomes like a living character in the story. It’s not just a background, but something that shows both toughness and beauty. Its toughness appears in the natural dangers it holds, while its beauty shows through its magical charm that touches the soul. This is what the study tried to show. It started by exploring what the desert space really means, then went deeper to discover its different forms and the roles it plays in the novel.